مجلة شهرية

Issue No: 135 عدد:

November 2018 شهر تشرين ثاني

نـــــــور المسيــــح يسوع المسيح
Φ Ω Σ الغالب XΡΙΣΤΟΥ

جمعية نور المسيح، رقم ٥٨٠٣٢٧٩١٤ ، ص.ب. ٦١٩ قانا الجليل ١٦٩٣٠

Nour Almasih / Light of Christ, Registered Society No. 580327914 - P.O.Box 619 , Cana of Galilee 16930, website:www.lightchrist.org

كنيسة الملاك ميخائيل (ماندامادوس)

في جزيرة ليسقوس - اليونان

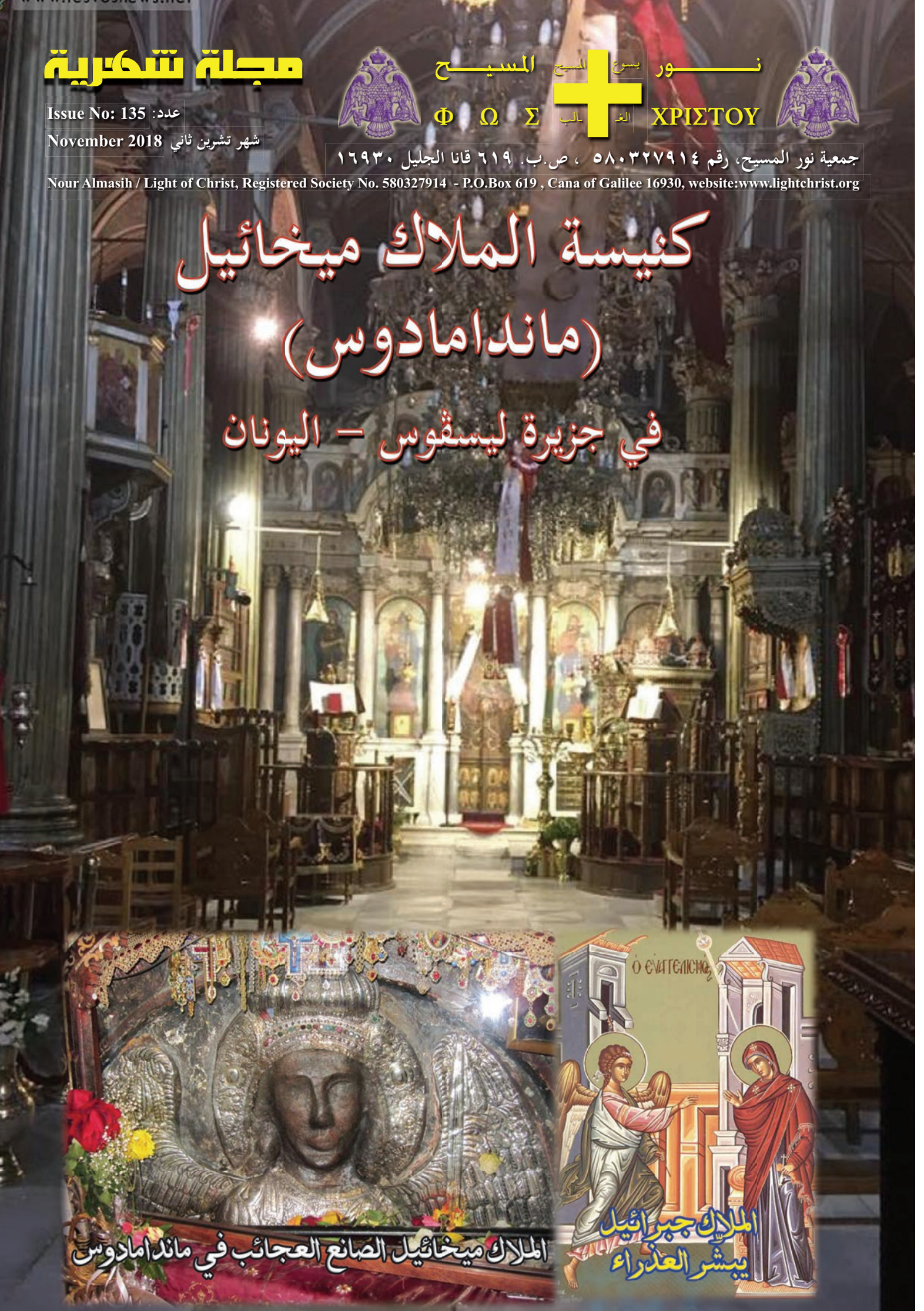

الملاك ميخائيل الصانع العجائب في ماندامادوس

الملاك جبرائيل يبشر العذراء

مختارات من أقوال القديس موسى أوپتينا

نقلها إلى العربية الأب أنطوان ملكي

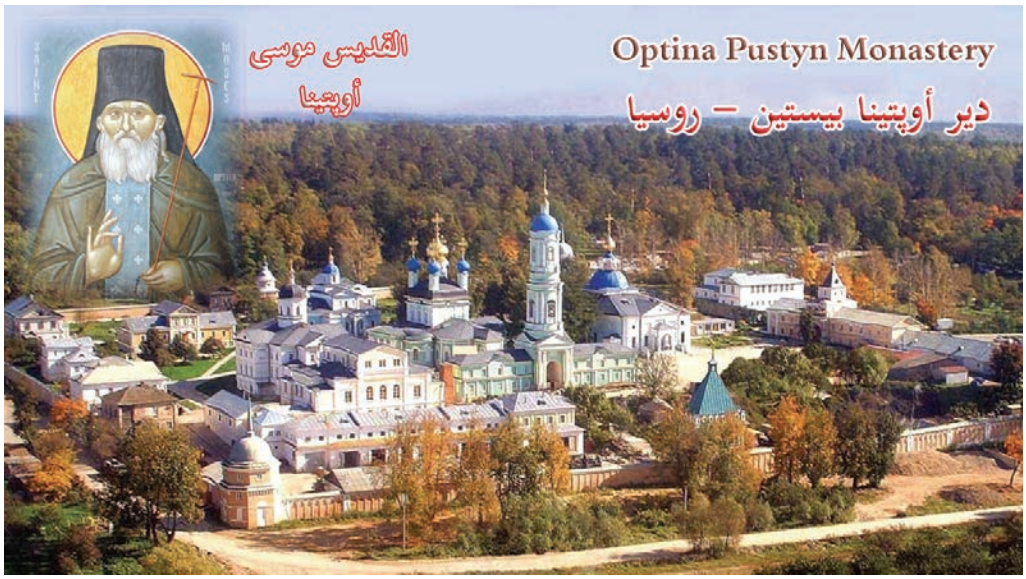

إذا أظهرتَ الرحمة في وقتٍ ما لأَحَدٍ، فسوف تلقى الرحمة. إذا عاملتَ أحدَ المتألّمين بإشفاق (**وهذا ليس عملًا عظيمًا**) فسوف تُعَدّ بين الشهداء. إذا سامحتَ مَن أهانك فلن تُغفَر كلّ خطاياك وحسب، بل سوف تكون ابنًا للآب السماوي.

إذا صليّتَ من كلّ قلبك للخلاص، حتّى ولو قليلًا، فسوف تُخَلَّص.

إذا وبّختَ ذاتَك وشجبتها وأدنتَها أمام الله بسبب خطاياك بضمير مُرهَفٍ، فسوف تُبرَّر حتى لهذه. إذا حزنتَ لخطاياكَ أو بكيتَ أو تنهدتَ، فإن تنهُّدكَ لن يخفى عنه، وكما يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم**: «إذا نُحتَ من أجل خطاياك فسوفَ يُحْسَبُ ذلك لخلاصك».

* * *

إذا ازداد ضعف روح التقوى فيك، فهذا ليس مفاجئًا، لأنّك موجود في دائرة اجتماعية حيث ترى وتسمع في آن واحدٍ، كلَّ ما هو على تضاد مع هذه الروح، وقلبك يشارك في هذه الأمور سواء عن إرادة أو غير إرادة. لهذا أنا آسف من أجلكَ. ولكن يا أخي الصغير عليك ألَّا تهمل نفسَك بشكل كامل. عليك أن تُثير روح التقوى بقراءة روحية صغيرة، أو بصلاة قصيرة، أو بتذكّر الأبدية وتطبيق ما تبقّى من وصايا المسيح. عليك أن تُغذّي ذاتك وتنمو «إِلَى إِنْسَانٍ كَامِلٍ. إِلَى قِيَاسِ قَامَةِ مِلْءِ الْمَسِيحِ.» (أفسس ٤:١٣). تذكّر العشارَ في الإنجيل الذي كان صاحب سلوكٍ مُعيبٍ وفاسدٍ، لكنّه لم ينقطع عن الذهاب إلى الهيكل مع أن حياته عكس ما يرضي الله بالكامل. وحدث مرة أنّه أرضى الله ببعض كلمات التوبة، فترك الهيكل مُبررًا على عكس ذاك الفريسي الذي كان يحفظ الناموس بحماسة.

أيها العزيز، لا تخمد الرُّوح بالكليّة، ولا توهِن ذاتك باللامبالاة، وشهوة الجسد وتشتيت الذهن في تخيلات استحواذية، لئلا بعد ذلك تعاني كثيرًا **كالعبد الكسلان** الذي في الإنجيل، الذي خبّأ موهبة النعمة التي حصل عليها في المعمودية، والتي **لا ينبغي أن تبقى مطمورة وبلا ثمار في نفس المسيحي.**

تَعَوَّدْتُ مُـرَّ ٱلصَّبْرِ حَتَّى أَلِفْتُهُ
وَأَسْلَمَنِي حُسْنُ ٱلْعَزَاءِ إِلَى ٱلصَّبْرِ
وَصَيَّرَنِي يَأْسِي مِنَ ٱلنَّاسِ رَاجِيًا
لِحُسْنِ صَنِيعِ ٱللهِ مِنْ حَيْثُ لَا أَدْرِي

محتويات العدد

مختارات من أقوال ...	2
كلمة غبطة البطريك ك.ك. ثيوفيلوس الثالث	3
الصوم وصية من الله	4
النُّسك في حياة الرهبنة	5
اتّباع الآباء	6
ضدّ الحقد	7
الحالات الروحية الداخلية	8
مختارات آبائية حول الصوم	10
ترنيمة للربّ يسوع المربي	11
روح العالم	11
المحبة – القديس ثيوفانس	12
قراءة عن الصمت والصحراء ..	14
مع من يتشاور الله	16
التعامل مع عيد ميلاد مُدَهرَن	17
قوّة الصلاة والصوم	18
الرَّاعي طبيبٌ مُعالج	19
لباس الحشمة	20
جزنا بالماء والنار	21
سيرة القديس نكتاريوس	22
----------	22
الأرثوذكسية قانون إيمان	23
العظات الثماني عشرة عن المعمودية	24

توزّعُ هذه المجلة مجانًا

جمعية نور المسيح

كفركنا – الشارع الرئيسي – ص . ب . ٦١٩

تلفاكس ٠٤-٦٥١٧٥٩١

لدعم نشاطات الجمعية تُقبل التبرعات مشكورة في بنك العمال فرع الناصرة ، حساب رقم: 12-726-111122

e-mail: light_christ@yahoo.com

المحرّر المسؤول: هشام خشيبون - سكرتير جمعية نور المسيح

كلمة صاحب الغبطة بطريرك المدينة المقدّسة أورشليم

كيريوس كيريوس تيوفيلوس الثالث

بمناسبة عيد رئيسي طغمات الملائكة العظيمَيْن ميخائيل وجبرائيل وسائر القوات السماوية

«يا زعيمَي الملائكة السماويين. والمتقدِّمَيْن في ذوي كراسي المجد الإلهي الرفيعة الرهيبة. ورئيسَي الجنود العلوية ميخائيل وجبرائيل. خَادِمَي الإله السيِّد. استَمِدَّا لنا غفران الزلّات في شفاعتكما دائمًا مع جميع العديمي الأجساد من أجل العالم. طالِبينَ أن نجد رحمةً ونعمةً في يوم الدينونة.» هذا ما يُصرّحُ به مرنم الكنيسة.

أيها الآباء الأَجِلَّاء والإخوة المحبوبون في المسيح،

أيها المسيحيون الزوار الأتقياء.

إن ربنا وإلهنا «الصَّانِعُ مَلاَئِكَتَهُ أَرْوَاحًا وَخُدَّامَهُ لَهِيبَ نَارٍ.» (عب١: ٧) قد جمعنا اليوم في هذه الكنيسة المقدسة التي تحمل اسم القوات السماوية العادمة الأجساد، لكي نُتمِّم بشكرٍ ذكرى عيدهم الموقر، ولا سِيَّما العيد الجامع لرئيسَي طغمات الملائكة العظيمَيْن **ميخائيل وجبرائيل**.

إنّ القوات السماوية العادمة الأجساد مقسمةٌ وموزعةٌ على تسعِ طغماتٍ، في ثلاثِ ثُلاثيّاتٍ من الرُتب، الأولى وهم: **السيرافيم والشيروبيم والعروش**. والثانية وهم: **الأرباب والقوّات والسلطات**. والثالثة وهم: **والرئاسات ورؤساء الملائكة والملائكة**.

إن الله نفسه هو صانع القوات السماوية من العدمِ إلى الوجود، وقد كان هذا قبل العالم المنظور، وجبل الإنسان بحسب شهادة **القديس يوحنا الدمشقي** إذ يقول: ﴿الله نفسه صانع الملائكة وبارئهم ومخرجهم من العدم إلى الوجود. وقد خلقهم على صورته الخاصة، طبيعة لا جسمية على مثال ريحٍ ما ونارٍ لا مادية، كما يقول داود الإلهي:« الصانع ملائكته أرواحًا وخدامه لهيب نار» (مزمور ١٠٣: ٤).﴾

وبتوضيح أكثر إن الله هو الذي جبل الملائكة وصمّم فيهم الخفة وسرعة النفوذ كالريح، والحدّة في تلبية أوامره وخدمته وهو (أي الله) الذي جعل خدامهُ كلهيب نارٍ. وأما حالة القوات السماوية وشكلها فلا أحد يعرفها، إلّا ربنا وإلهنا خالقها. كما يقول **القديس يوحنا الدمشقي**: «ولسنا نعلم هل هم متساوون في الجوهر، أم هم مختلفون بعضهم عن بعض. إن الله وحده الذي صنعهم يعلم هذا لأنه يعرف كل شيء.»

أما الملائكة ورؤساء الملائكة الذين زَعيمَاهُم ميخائيل وجبرائيل، يوصفون بأنهم أقوياء ومستعدون لتلبية وتنفيذ المشيئة الإلهية، ولسرعة طبيعتهم يوجدون فورًا في كل مكان حيث تدعوهم إشارة من الله، وهم يحافظون على قطاعات الأرض ويعتنون بالشعوب والأماكن على حسب ما رَتَّبَهُ لهم الخالق. يُديرون شؤوننا ويُغيثوننا ويُدافعون عنا نحن البشر، وهم يتفوَّقُون على البشر بحسب مشيئة الله، وأوامره، لأنهم يقيمون بكليّتهم في حضرة الله، وهم يستجيبون دومًا لمساعدة من يدعوهم حتى ينقذوهم من حِيَلِ الشيطان، وغِلِّهِ كما يقول المرنم: «حيثما تظلّل نعمتك يا رئيس قوّاد الملائكة ميخائيل المستحق المديح تُطرَد قوة الشياطين زاهقةً. لأن كوكب الصبح الساقط لا يطيق الثبات بإزاء نورك.»

إن رسالة الملائكة في خدمة الوصايا الإلهية ومشيئة الله التي لا يُسْبَرُ غَوْرُها هو واضح في تاريخ خلاصنا المقدس، أي في الكتاب المقدس بعهديه القديم والجديد.

إن الطغمات غير الهيولية والقوات العادمة الأجساد مع جميع قديسي كنيستنا، يُشكلون جوقًا ومصاف الكنيسة السماوية كما يقول ويُعلم القديس بولس الرسول «بَلْ قَدْ أَتَيْتُمْ إِلَى جَبَلِ صِهْيَوْنَ، وَإِلَى مَدِينَةِ اللهِ الْحَيِّ. أُورُشَلِيمَ السَّمَاوِيَّةِ، وَإِلَى رَبَوَاتٍ هُمْ مَحْفِلُ مَلاَئِكَةٍ، وَكَنِيسَةُ أَبْكَارٍ مَكْتُوبِينَ فِي السَّمَاوَاتِ، وَإِلَى اللهِ دَيَّانِ الْجَمِيعِ، وَإِلَى أَرْوَاحِ أَبْرَارٍ مُكَمَّلِينَ» (عبرانيين ١٢: ٢٢-٢٣) وبكلام آخر إن الملائكة يمجدون الله بدون توقفٍ، بتسبيح الظَّفَرِ مترنمون قائلين: قدوسٌ قدوسٌ قدوسٌ ربُّ الصباؤوت السماء والأرض مملوءتان من مجدك. أُوصَنَّا في الأعالي. مباركٌ الآتي باسم الرب. أوصنا في الأعالي.

لهذا فإن الملائكة بما لهم من الدالَّةِ لدى الله فهم يحظون بالإكرام والتقدير من المؤمنين أعضاء الكنيسة. ومن الجدير بالذكر أن نقول

بأن الملاك الحارس يرافق الإنسان منذ لحظة ولادته بالروح القدس من جُرْنِ المعمودية المقدس. وهم لا يبرحون ولا يذهبون من عندنا إلَّا إذا نحن ابتعدنا عنهم بسلوك وطريقة حياتنا غير المسيحية.

وعلينا أن نذكر بأن الملائكة يشاركون في الفرح الذي يصير في السماوات عند التوبة الحقيقية والصادقة للخاطئ. كما أكد هذا قول **ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح**: «هكَذَا، أَقُولُ لَكُمْ: يَكُونُ فَرَحٌ قُدَّامَ مَلاَئِكَةِ اللهِ بِخَاطِئٍ وَاحِدٍ يَتُوبُ.» (لوقا ١٥: ١٠)

لهذا فإن كنيستنا المقدسة من بين أدعية وأفاشين صلواتها المقدسة المختلفة، هناك الصلاة العامة والتي نبتهل من خلالها إلى ربنا قائلين:«وأحطنا بملائكتك القديسين حتى إذا كنا بمعسكرهم محفوظين ومُرْشَدين نصلُ إلى اتحادِ الإيمان، وإلى معرفة مجدك الذي لا يُدنى منه». وأيضًا هناك دعاء إلى (الملاك الحارس حياة الإنسان) الذي نطلب إليه أن يحفظ حياتنا من جميع **حيل المعاند أي الشيطان**.

وقد وردَ في إنجيل مرقس أن الملائكة هم الذين جاؤوا لخدمة المسيح بعد انتصاره على **الشيطان**، كما يشهد الإنجيلي بذلك «وَكَانَ هُنَاكَ فِي الْبَرِّيَّةِ أَرْبَعِينَ يَوْمًا يُجَرَّبُ مِنَ الشَّيْطَانِ. وَكَانَ مَعَ الْوُحُوشِ. وَصَارَتِ الْمَلاَئِكَةُ تَخْدِمُهُ» (مر ١: ١٣).

إن من نكرِمهُما اليوم **زعيمَي الجنود السماوية ميخائيل وجبرائيل مع سائر القوات والطغمات السماوية العادمة الأجساد المقدسة**، يحثاننا على الانتعاش الروحي، أي التوبة خصوصًا وأننا نقف على أبواب الاستعداد لعيد ميلاد المسيح العظيم.

ختامًا نبتهل إلى الله بتوسلات الملائكة القديسين، ومع المرنم نهتف قائلين: «حيثما تظلّل نعمتك يا رئيس قوّاد الملائكة ميخائيل المستحق المديح تُطرَد قوة الشياطين زاهقةً. لأن كوكب الصبح الساقط لا يطيق الثبات بإزاء نورك.» فلذلك نطلب إليك أن تخمد سهامهُ النارية الثائرة علينا. منقذًا إيانا من عثراته.

كل عام وأنتم بخير

الداعي بالرب
البطريرك ثيوفيلوس الثالث
بطريرك المدينة المقدسة أورشليم

الصوم وصية من الله – يعقوب تساليكيس

نقلتها إلى العربية
راما مخول

كان **الشيخ يعقوب** من جزيرة إيفيا اليونانية من محبّي الصوم، حيث اختبر بتجربةٍ فوائده الجسدية والروحية. ففي أوقات المحاربات الروحية لم يكن يأكل أي شيء على الإطلاق، إلَّا القليل من القربان المقدس. كما كان يفعل شفيعه ومثَلُهُ الأعلى **القديس داوود** لسنوات عديدة. حيث كان يأكل وجبة بسيطة فقط يوم السبت عند الظهيرة – ولكن ليس دائمًا – ويوم الأحد. فالرب وحده يعلم كيف كان يحتمل هذا النظام الصارم من الصوم بالإضافة للكثير من الأعمال اليدوية.

الصوم وصية من الرب، ولذلك يا أبنائي، ينبغي علينا أن نصوم أيضًا. فأنا لم أهمل الصوم طوال سنوات حياتي السبعين، لأن والدتي علّمتني أن أصوم منذ الطفولة. كما أنني لا أتظاهر بذلك عندما أصوم، لكنني أقوم بما علّماني إياه والداي، وحافظت عليه حتى يومنا هذا يا أبنائي. فالصوم لم يعرضني للمرض أبدًا.

يقول الأطباء والأساقفة أن الصوم المقتصد مفيد جدًا للإنسان. ذات مرة، قال لي طبيب: «أبانا، لا تأكل أي شيء لمدة خمسة أيام ولا تشرب حتى قطرة ماء، لأننا سوف نقوم باختبار لتحرّي ما سيجري في جسمك». ولذلك صمت خمسة أيام. فكان لهذا الاختبار أثر عظيم عليّ، فكم بالحريّ تكون الفائدة أكبر لأرواحنا عندما نصوم! فلأن داخل أجسادنا تسكن روح أبدية، دعونا نعتني بروحنا التي هي حقًا خالدة.

دعونا نصوم يا أبنائي الأحباء، ولا تستمعوا لهؤلاء الذين تنكَّرون للصوم، ويقولون إنه بدعة من عند الرهبان. لا يا أبنائي، إنه ليس بدعة من عند الرهبان، اغفروا لي، الله يقول لنا أن نصوم. وصية الله الأولى هي الصوم، كما أن المسيح أيضًا صام.

نستطيع القول أننا نصوم مع أننا نأكل كثيرًا. إذًا ما هو الصوم الذي نقوم به، يا أبنائي؟ عندما تكون الأغذية التي نتناولها بدون زيت، اغفروا لي، حتى لو كنا نتناول الكثير منها. فذلك يكفي الإنسان الحفاظ على صحته ويبقى لديه رغبة بالصوم.

يومًا ما جاءني أحدهم وقال لي: «أَخْبَرَنِي الكاهن أن الصوم غير موجود»، فأجبته: «ومَن أخبرك أن الصوم غير موجود؟ اذهب وأخبر الكاهن أن يفتح الكتاب المقدس، ويرى الآيات التي تتحدث عن الصوم: «إلَّا بالصلاة والصوم» (متى ١٧: ٢١، مرقس ٩: ٢٩)، التي قالها المسيح، وآيات أخرى. فالشياطين والأمراض والشهوات لا تخرج إلَّا بالصوم. كما أن **الأب المتقدّم المقدس** ماذا كان يأكل في الصحراء؟ **وداوود المبجَّل** ماذا كان يأكل؟ كان يمضي طوال الأسبوع، مع القربان المقدس، في قلايته متعبدًا».

❁ وَسُئِل القديس باسيليوس أيضًا: «هل ينبغي التواني عن عمل اليد، من أجل الصلاة ؟! وأي الأوقات التي يليق فيها العمل؟ وهل العمل أفضل؟!.»

فأجاب القديس وقال: (تتمة من العدد السابق)

✝ – وفي آخر النهار، ومن أجل الأعمال التي قمنا بها لنسأل رحمته، عمَّا فعلناه من سَقَطات ليغفرها لنا، سواء التي فعلناها بمعرفة أو بغير معرفة، بالقلب أو باللسان، أو بالفكر أو بالفعل. ولأنه جَيِّد أن نتذكَّر أخطاءَنا، لكي لا نسقط فيها مرَّة أُخرى.

✝ – وقال داود النبي: «اِرْتَعِدُوا وَلاَ تُخْطِئُوا. تَكَلَّمُوا فِي قُلُوبِكُمْ عَلَى مَضَاجِعِكُمْ وَاسْكُتُوا. سِلاَهْ.» (مز٤:٤).

✝ – **وأوَّل الليل** (عند النوم) نسأل الله أن يحفظنا فيه، وأن تكون راحة النوم لنا بلا عثرة، وأن نَخلُص من خيالات الشياطين.

✝ – **وفي نصف الليل:** نصلِّي كما فعل بولس وسيلا (أع ١٦:٢٥) وكما قال المرنِّم: «فِي مُنْتَصَفِ اللَّيْلِ أَقُومُ لأَحْمَدَكَ عَلَى أَحْكَامِ بِرِّكَ.» (مز١١٨:٦٢).

✝ – وينبغي أن نُبكِّر قبل النور (بزوغ الفجر) ونقف للصلاة، لكي لا يلحقنا الشرّ، عندما نرقد في فراشنا، كما يقول المرنِّم: «سبَقَت عيناي وقت السَّحَر، وأنا أتلو كلامك» (مزمور ١١٨:١٤٧).

❁ (٢٢) وَسُئِل القديس باسيليوس : «ما هي القوانين والصفات للعمل اليدوي للرهبان؟!» فيجيب قائلًا:

✝ – إن تحديد الصناعات صعب، لأن كل واحد يطلب أن يعمل ما يُلائمه (خبراته السابقة) وبحسب احتياجه ومكانه.

✝ – وأن نختار الأعمال التي نعملها بدون قلق، وبلا عثرة للغير. ولا نهتم فيها بزيادة عما نحتاج اليه. وعدم الحزن لنقص ثمن أو أجرة، وألَّا نكون سببًا لإجتماع الرهبان بالنساء، وبالرجال أيضًا فيما لا ينبغي عَمَلُهُ، ولا نهتم، أكثر من اللازم في الشكل.

✝ – فإن صنعنا ثيابًا فلتكن ثيابًا وملابس عادية فلا تكون غالية ولا مُزَوَّقَة، حتى لا تكون عثرة للجهلاء روحيًا.

✝ – ولا نعمل من صناعة الجلود والبناء والنجارة والحدادة وبقية الحِرَف، لا نعمل منها إلَّا ما لابُدَّ منه (الضروري) لننفع الناس في احتياجاتهم الضرورية، وهو اللائق بالراهب. فلا نميل إلى مدح الناس، فإنَّ هذا مجدٌ باطل.

✝ – وإذا وقعت نتائج سلبيّة (قلقٌ) جرَّاء هذه الصناعات، أو عثرات تعمل على تفريق الإخوة، أو غيابهم عن حضور المجمع، نتيجة لالتزامهم بهذه المصنوعات، فالأفضل أن يُمتنع عن فعلِهَا. والأفضل أن نعمل ما يحفظ حياتنا بغير قلق، ويجب تقديم عمل الرَّب أولًا (العبادة تسبِق العمل اليدوي) حيثُ تُكَمَّل خدمة الله حسب القانون الموضوع للصلاة.

✝ – وإن لم تَكُن لسيرتنا خسارة (روحية) في الصناعات السابقة، فلنشتغل. ولنتخلَّص من التجوال في أسواق العالم للشراء والبيع. وإذا لم تكُن لنا خسارة (عثرة) من القريبين منَّا، فلا ينبغي أن نبتعد ؛ وإن لم نتمكّن، فيجب ألَّا نبقى طويلًا وسط الجموع (بالأسواق) لأجل حجة البيع، لأنّ المكوث في موقع واحد يليق بالراهب.

✝ – وجَيِّد أن نختار الأقل (في الكم) ولا نمضي إلى العالم خلف الأكثر، فنبتعد طويلًا عن قلالينا. وعند البيع نختار مكانًا يكون فيه أُناسٌ يعرفون الله، ليكون ربحٌ لنا ولهم، باجتماعنا بهم.

التتمة في العدد القادم

اتّباع الآباء

الأب جورج فلوروفسكي

«**بحسب الآباء...**» من عادة الكنيسة صياغة التعابير العقائدية مبتدئة بهذه العبارة.من أهمّ الأمثلة قرارات **مجمع خلقيدونية** التي تبدأ بالتحديد بهذه العبارة، قرارات **المجمع المسكوني السابع** حول الأيقونات حيث يذكر بطريقة أوضَح: «بحسب تعليم آبائنا القديسين المُوْحَى به من الله وتقليد الكنيسة الجامعة». بالطبع، لم يكن الأمر مجرّد استذكار للقديم، بل بالأحرى هو تشديد على امتداد إيمان الكنيسة عبر الأجيال. هذه الهوية والديمومة منذ زمن الرسل هي بالحقيقة الرمز والعلامة الأبرز والإشارة إلى صحة الإيمان. فالقِدَم (*antiquity*) ليس بحدِّ ذاته دليلًا على صحّة الإيمان، ولا العادات القديمة التي تكفل الحقيقة. فالتقليد الصحيح هو تقليد الحقيقة الذي بحسب **القديس إيريناويوس**، هو متجذّر في الكنيسة منذ البداية، وهي تحمله وتحفظه في تسلسل رسولي غير منقطع. وعليه، فإن التقليد في الكنيسة ليس استمرار الذاكرة البشرية، أو ديمومة الطقوس والعادات. بالمطلَق، التقليد هو استمرار المعونة الإلهية، والحضور الثابت للروح القدس. فالكنيسة ليست مربوطة بالحرف، بل هي في حركة دائمة بالروح. والروح نفسه، روح الحق، تكلّم في الأنبياء وقاد الرسل، وأنار الإنجيليين ولا يزال يسكن في الكنيسة, ويوجّهها إلى الفهم الأكمل للحقيقة الإلهيّة، من مجد إلى مجد.

إن عبارة «**اتّباع الآباء**» ليست مُجرّد تقليد، أو إشارة إلى صياغات وعبارات وحسب. إنها بالدرجة الأولى استدعاء لأشخاص أي لشهود قديسين. إن شهادة الآباء هي من بنية الإيمان الأرثوذكسي بشكل عضوي وجوهري. إن الكنيسة تلتزم ببشارة (*kerygma*) الرسل كما بعقائد (*dogmata*) الآباء. الكنيسة هي بالحقيقة «**رسولية**» ولكنها أيضًا «**آبائية**»، وفقط بكونها آبائية تكون رسولية باستمرار، فالآباء يشهدون لرسولية التقليد. هناك مرحلتان أساسيتان في إعلان الإيمان المسيحي، من الإيمان البسيط إلى الإيمان المُصاغ، فقد كان هناك حاجة داخلية، ومنطق داخلي وضرورة في هذا الانتقال من البشارة إلى العقيدة.

في الحقيقة، إن عقائد الآباء هي بالجوهر نفسها البشارة «البسيطة» التي حملها الرسل، ووضعوها مرّة وللأبد. لكنها الآن البشارة مُصاغَةً بشكل لائق، ومطوَّرة إلى جسم مترابط من الشهادات. التعليم الرسولي ليس محفوظًا في الكنيسة وحسب، بل هو مُعاش في الكنيسة كوديعة دائمة الحياة (*depositum juvenesceris*) بحسب تعبير القديس إيريناويوس. بهذا المعنى، تعليم الآباء هو فئة ثابتة من الإيمان المسيحي ومقياس ثابت، ونهائي أو معيار للمعتقد الحقّ. بهذا المعنى مرة أخرى، الآباء ليسوا مجرد شهود للإيمان القديم ولكن، وقبل كلّ شيء، وبالدرجة الأولى، شهود للإيمان الحقيقي. وبناءً على ذلك ، ألاحتكام المعاصر للآباء، هو ليس مُجرد إشارة تاريخية إلى الماضي.

«**فكر الآباء**» هو مرجعية جوهرية في اللاهوت الأرثوذكسي، ليس دون كلمة الكتاب المقدس، وبالواقع غير منفصل عنها. كان الآباء أنفسهم دائمًا خدام الكلمة، ولاهوتهم كان تفسيريًا في جوهره. وهكذا، وكما قيل أيضا في الآونة الأخيرة، «الكنيسة الجامعة في كل العصور ليست مجرد تابعة لكنيسة الآباء بل هي ولا تزال كنيسة الآباء.»

العلامة المميزة الرئيسة للّاهوت الآبائي كانت طابعه «**الوجودي**». فالآباء تأمّلوا لاهوتيًا «على طريقة الرسل، وليس على طريقة أرسطو»، بحسب تعبير **القديس غريغوريوس النزينزي**. تعليمهم كان دائمًا رسالةً، بشارة. لاهوتهم كان دائمًا لاهوتًا بشاريًا (*kerygmatic theology*) حتّى عندما تمّ ترتيبه منطقيًا، وتأييده بالحجج الفكرية. المرجع النهائي كان دائمًا الإيمان والفهم الروحي. يكفي أن نذكر في هذا الصدد أسماء **القديسين أثناسيوس، غريغوريوس النزينزي، ومكسيموس المعترف**. لاهوتهم كان شهادة. بصرف النظر عن الحياة في المسيح، اللاهوت لا يحمل أي إدانة، وإذا فُصِل عن حياة الإيمان، قد يتحول بسهولة إلى منطق فارغ، وكثرةِ كلام دون جدوى، ومن دون أي نتيجة روحية. اللاهوت الآبائي كان متجذرًا في التزام حاسم بالإيمان. لم يكن مجرد فرع من المعرفة لا يحتاج إلى شرح، ويمكن تقديمه جدليًا من دون ارتباط روحي مُسبق. هذا اللاهوت يمكن فقط أن يُبَشَّر به، أو يُعلَن وألّا يُدَرَّس وحسب على طريقة المدرسة؛ فهو يُوعَظ على المنبر، ويُعلَن أيضًا في كلمة الصلاة والطقوس المقدسة، ويتجلى في الواقع في مجمل بنيَة الحياة المسيحية. إنّ لاهوتًا من هذا النوع ،لا يمكن فصله عن حياة الصلاة وعن ممارسة الفضيلة. «قمّة الطهارة هي بداية اللاهوت» بحسب تعبير **القديس يوحنا السلّمي** (السلّم إلى الله، الدرجة ٣٠). من ناحية أخرى، اللاهوت هو دائمًا تمهيدي لا أكثر، لأن هدفه النهائي والغرض منه هو أن يحمل الشهادة على سرّ الله

الحي، قولًا وعملًا. «**اللاهوت**» ليس هدفًا في حَدِّ ذاته بل هو دائمًا طريقة.

اللاهوت أكثر من مجرد إطار فكري للحقيقة المعلَنة وشهادة «نوسية» لذلك، فقط في فعل الإيمان يمتلئ هذا الإطار بمحتوى حَيّ. ومع ذلك، فإن هذا الإطار أمرٌ لا غنى عنه أيضًا. لا معنى للصِّيَغِ الخريستولوجية في الواقع إلَّا للمؤمنين، أي لأولئك الذين التقوا المسيح الحي، واعترفوا به إلهًا ومُخَلِّصًا والذين يسلكون في الإيمان به، في جسده الكنيسة. بهذا المعنى، اللاهوت ليس نظامًا لا يحتاج إلى شرح. إنه يحتكم دائمًا إلى النظرة الإيمانية. «ما سَمِعْنَاهُ ورَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا نَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ به». بمعزل عن هذا الإعلان اللاهوتي، لا يكون لهذه الصياغات أية نتيجة. ولنفس السبب، لا ينبغي أبدًا أن تؤخذ هذه الصِّيَغ من سياقها الروحي. من المُضِلِّ تمامًا ذكر بعض المسائل العقائدية أو التعليمية وتجريدها من المنظور الكلي الوحيد حيث هي مفيدة وصالحة. إن التعامل مع «اقتباسات» من الآباء وحتى من الكتاب المقدس، خارج بنية الإيمان الكاملة حيث تكون هذه الاقتباسات على قيد الحياة حقًا، هي عادةٌ خطيرة.

إن اتّباع الآباء لا يعني اقتباس عباراتهم وحسب. إنه يعني اكتساب فكرهم (فرونيما) (φρόνημα). تدّعي الكنيسة الأرثوذكسية أنها حفظت هذا الفكر وأن لاهوتها هو بحسب الآباء. عند هذه النقطة بالذّات يمكن التشكيك بشكل كبير. إن اسم «**آباء الكنيسة**» هو بالعادة محصور بمعلمي الكنيسة القديمة. ومن المفترض حاليًا أن سلطتهم، حيث يُعتَرَف بها، تأتي من قِدَمِهِم، أي من قربهم الزمني من الكنيسة الأولى، أي من عصر الرسل في التاريخ المسيحي. **القديس بيرونيموس**، أحس أنه ملزَم بتحدي هذا الرأي: الروح يُبَث في كل الأجيال. بالحقيقة، ما من تناقص في سلطة وما من تناقص في فورية المعرفة الروحية عبر تاريخ الكنيسة، طبعًا ودومًا تحت حكم الشهادة والإعلان الأَوَّلَيْنِ. للأسف، إن مبدأ التناقص، أو حتّى الاضمحلال الصارخ، صار أحد المبادئ العادية في التفكير التاريخي. حيث من المفتَرَض بشكل واسع، عن وعي أو عن عدمه، أن الكنيسة الأولى كانت أكثر قربًا من نبع الحقيقة.

في الترتيب الزمني، وبطبيعة الحال، هذا واضح وحقيقي. لكن هل هذا يعني أن الكنيسة في وقت مبكر عرفت فعلًا سِرّ الوحي وفهمته، على ما كانت عليه، «**أفضل**» و «**أكمل**» من جميع الأجيال اللاحقة، بحيث أنها لم تترك شيئًا إلَّا «**التكرار**» إلى «**العصور اللاحقة**»؟ في الواقع، كاعتراف بالنقص فينا وبالفشل، كفِعل نقد ذاتي متواضع، وكتمجيد للماضي، قد يكون هذا القول سليمًا وصِحِّيًا. ولكن من الخطورة بمكان أن يُجعل منه نقطة انطلاق لاهوتنا لتاريخ الكنيسة، أو حتى لاهوتنا للكنيسة.

ضد الحقد* لأبينا في القديسين نيقوديموس الآثوسي المتوشح بالله

لذلك نطلب أن تصحوا يا أيّها الآباء الجزيلو الاحترام، ويا إخوتنا المحبوبين بالمسيح، تعالوا وادركوا الأذى المسبّب لكم من العدو الشرّير. تخلّصوا من الضغينة. استأصلوا من أفئدتكم الحقد على الإخوة، واغرسوا المحبّة فيها «التي هي رباط الكمال» كما يقول بولس المغبوط (كولوسي ٣:١٤). ما معنى رباط الكمال؟ يقول **القديس يوحنا الذهبي الفم** مفسّرًا إياها: «ما يريد الرسول قوله هو أن سائر هذه الأمور، أي الفضائل، هي موثوقة بجملتها بالمحبّة. مهما قد تذكر من مآثر حسنة بغياب المحبة هو لا شيء بل يذوب كليًّا. فإنه إذا ما أنجز امرؤٌ إنجازات عظيمة، مهما كانت، فهي بأجمعها باطلة إذا ما لم تكن لها المحبّة.» أيها الآباء اهجروا (تخلوا) الإفتراءات على إخوتكم واستبدلوها بالمديح (بالتمجيد) وليتذكر كل واحد ما يقوله الرسول: «أَخِيرًا أَيُّهَا الإِخْوَةُ كُلُّ مَا هُوَ حَقٌّ، كُلُّ مَا هُوَ جَلِيلٌ، كُلُّ مَا هُوَ عَادِلٌ، كُلُّ مَا هُوَ طَاهِرٌ، كُلُّ مَا هُوَ مُسِرٌّ، كُلُّ مَا صِيتُهُ حَسَنٌ، إِنْ كَانَتْ فَضِيلَةٌ وَإِنْ كَانَ مَدْحٌ، فَفِي هذِهِ افْتَكِرُوا.» (فيليبي ٤:٨)

نختم اعترافنا ودفاعنا بهذه العبارة المختصرة بل هي جريئة وحقّة. أيها الإخوة والآباء اذا لم تستأصلوا الضغينة من أفئدتكم، ولم تغرسوا مُنمّين المحبة وإذا ما كنتم لا تكفّوا عن الإفتراءات ضد إخوتكم، فاعلموا – واغفروا جرأتنا هذه – أن مكوثكم في الجبال والتلال هو دون جدوى. فكل جهاداتكم النسكية وأتعابكم وكدحكم هي بدون جدوى. هل نتفوّه بما هو أعظم؟ وحتى لو كابدتم استشهاد جسدي من أجل المسيح، والبغضاء في صميمكم ولا تحبّون إخوتكم، فباطل هو استشهادكم. وهذا ليس بكلامنا بل **ليوحنا الذهبي الذهن والفم** الذي يقول: «ليس من شيء أعظم أو مضاهٍ للمحبة ولا حتى الاستشهاد الذي هو أوّل سائر المآثر الصالحة. كيف يكون هذا؟ أنصت. محبة دون استشهاد تؤدّي بالإنسان أن يغدو تلميذًا للمسيح، لكن باستشهاد دون محبة فلا يسعه إحراز (بلوغ) هذا.»

إذًا أيها الإخوة والآباء، متخلّين عن الضغينة والحسد كما والافتراءات الشريرة ضد الإخوة، دعونا نتّخذ المحبة التي هي إيماءة وعلامة مميّزة لتلاميذ المسيح، ولنحتضن السلام الواحد تجاه الآخر مع الاتحاد والانسجام، بالطريقة هذه دعونا نقدّم صلواتنا بسلام إلى الله أمير السلام، الذي وهبنا السلام بواسطة دم صليبه، والذي يمنح السلام للقاصين والدانين حسب الرسول مُمَجِّدِينَ بصوت متفق وقلب واحد اسم الآب والابن والروح القدس الكلي القداسة، الإله الواحد المثلث الأقانيم الذي ينبغي له كل المجد إلى مدى الدهور. آمين.

* من كتاب «**اعتراف الإيمان**» **لأبينا في القديسين نيقوديموس الآثوسي المتوشح بالله، نقلها إلى العربية رهبان دير حماطورة، قيد الطبع.**

الحالات الروحية الداخلية التي تواجه المسيحيِّين

الميتروبوليت إيروثيوس فلاخوس

الحياة الروحية لُغزٌ. إنها رحلة يواجه فيها المسافر العديد من العوائق والغرائب، ومعرفة كل هذه المشاكل هي عِلْمٌ. لا يوجد عِلْمٌ أعظم من معرفة كل الطرق التي ينبغي علينا اتّباعها، ولكن ينبغي علينا أيضًا معرفة الوسائل التي يجب استعمالها بهدف الوصول لوجهتنا.

قديسو الله هم الخبراء الأعلَم بهذه الرحلة. إنهم معتادون بدون خطأ على كل الصعاب، ويوصون بالطرق المتنوعة للتغلب عليها. الآباء الروحيون، الذين يشفون نفوس الآتين إليهم، يكونون أيضًا في موضع العارفين، بقدر الامكان، بهذه الرحلة الشاقة لأجل خلاص نفس الإنسان.

من أسباب الصعاب الخطيرة التي تواجه المسيحيين في حياتهم الروحية **الاكتفاء الذاتي واليأس**. على عكس ذلك، تكون **الشجاعة** من أعظم وأهم الأسلحة للتخلص من يأس العالم الذي يغلبنا في رحلتنا الروحية. إنني ألاحظ أن الناس اليوم، يعانون في هذه الجوانب الثلاثة: إنهم يمتلكون الاثنين الأولين (**الاكتفاء الذاتي واليأس**) ولكنهم يفتقرون للثالث (**الشجاعة**).

١ – الاكتفاء الذاتي

يعني الاكتفاء بالذات أن يكون المرء قادرًا على توفير احتياجاته الخاصة. قد يعني الاكتفاء الاقتصادي. يُستعمل هذا المصطلح في الكتاب المقدس للتعبير عن ضرورة امتلاك الوسائل المالية اللازمة بحيث لا نثقّل على الآخرين، وبحيث نكون قادرين على إعطاء المحتاجين مما يتبقّى (٢كو٩:٨). إلّا أنه بالاضافة إلى ذلك، الاكتفاء الذاتي يعني النظر لمواهبنا الشخصية على أنها ذاتية ومستقلة عن الله وخدمة أعمال الخير، واستغلالها لمصلحتنا. في المصطلحات المعاصرة، يشير الاكتفاء الذاتي إلى حالة للذهن نبالغ فيها في تقدير مواهبنا الروحية، وفضائلنا حيث نراها على أنها متميزة بِتَفَرُّد، ونذهب لما هو أبعد من ذلك فنظن أننا كاملون، وبالتالي لا نكون محتاجين لنموٍ آخر. هذا المعنى، الذي هو كوننا كاملين، عادة ما يوصف في أيامنا هذه على أنه **اكتفاء ذاتي**.

للأسف، يعاني أغلبنا، نحن المسيحيين المعاصرين، من ذلك. فلدينا الشعور بكمالنا الروحي الخاص بنا. إننا لا نشعر أننا نحتاج للنموٍّ أو التطور في حياتنا الروحية. على عكس ذلك، نظن أن الآخرين، بخلافنا، لديهم العديد من الضعفات، وبذلك نعيش مثل الفريسيين. إنني أعتبر أن خطر **الاكتفاء الذاتي** هذا، والذي يكون مصحوبًا **باحتقار الآخرين** هو أحد أكبر المخاطر في عصرنا هذا.

هذا النوع من **الاكتفاء الذاتي** هو وَهْمٌ كبير. يصف **القديس فيلوثيوس السينائي** هذه الحالة التي واجهها لدى أناس عصره، بمَن فيهم الرهبان فيقول إن العديد من الرهبان «ليسوا واعين بخداع النوس» الناتج عن تأثير **الشياطين**. فلكونهم غير مدربين وساذجين، ينشغلون بالحياة العملية دون الالتفات **للنوس**، ليس لديهم خبرة بنقاوة القلب، وهم جاهلون بظلمة أهوائهم. مثل هؤلاء الرهبان «ينظرون لهذه الخطايا المرتكبة على أنها مجرد هفوات. لا يأخذون بالحسبان الهزائم والانتصارات التي تحدث في ساحة الفكر».

العديد من المسيحيين والرهبان يهتمون فقط بالفضيلة العملية، وليس بالتقدم نحو معاينة الله. إنهم يحاولون تطهير قدرة النفس على الرؤية دون الاهتمام بما يخص الحياة الداخلية، ودون الحنين الشديد لله أو لمعرفته. إنهم غير مهتمين بالصلاة العقلية أو الحياة الداخلية. بالتالي لا يعرفون أبدًا **الفقر الروحي** الذي هو أول **تطويبات المسيح**. إنهم لا يُظهرون علامة على التوبة التي هي شرط لا غنى عنه للروح الأرثوذكسية ، إذ من خلال التوبة تدخل نعمة المسيح القلب.

عندما نقابل مثل أولئك الناس، فإننا عادة ما نجد أنفسنا في مأزق رهيب. هل يتعيّن علينا أن نتركهم في هذه الحالة (التي هي مرض للنفس سوف يؤدي بالتأكيد إلى موتها وتبلُّدها)، أم ينبغي علينا أن نحاول تحطيم هذه الصورة الجيدة التي لديهم عن أنفسهم؟ هذ الأمر يمثّل إشكالية كبيرة إذ أحيانًا عندما يتهشَّم قناع الشخص عن **اكتفائه الذاتي**، إذا لم يكن مسنودًا بنعمة الله، يسقط في يأس عميق قد يسبب له أذى كبيرًا. هنا تكون الرعاية الكهنوتية الساهرة مطلوبة بشدة. أعتقد أن هذه النقطة تشكّل صليب الأب الروحي. فصليبه يتكوّن من معرفة كيفية تمييز الاكتفاء الذاتي الروحي، وكيفية تحطيمه، وكيفية التعامل مع الشخص بمجرد أن يسقط عنه **مظهر التقوى**.

٢ – اليأس

يصيب اليأس العديد من الناس في هذه الأيام. يقسِّم **القديس يوحنا السلمي اليأس** إلى فئتين. أحداهما: اليأس الناتج عن «كثير من الخطايا، وضمير مُثْقَل، وحزنٌ لا يُحتمل». وينتج الآخر عن «العُجب والخيال، عندما يعتبر المرء نفسه غير مستحق لخطيئة سقط فيها». يقود النوع الأول من اليأس للتبلّد. أما في النوع الثاني، يكمل الشخص جهاده الروحي النسكي في يأس، مما يشكل تناقضًا كما يقول القديس يوحنا السلمي. يسقط الشخص المتكبر جدًا والذي لديه أفكار عظيمة عن نفسه في النوع الثاني من اليأس، لأنه بعد ارتكاب خطيئة لا يستطيع تصديق أنه فعل ما فعله. يقول القديس يوحنا السلمي أن

العُجب واليأس متناقضان مثل العرس والجنازة، ولكن عندما تعمل **الشياطين** من الممكن أن نرى الاثنين معًا: «كنتيجة للتشويش الناتج عن الشياطين من الممكن رؤية الاثنين معًا بآن واحد».

هكذا يأتي **اليأس** من الخلاص من **الشياطين**. يعلّم أيضًا القديس يوحنا السلمي أنه لا ينبغي علينا الالتفات إلى الأحلام الخاصة بالعذابات التي تأتي من **الشياطين**. ينبغي علينا أن نصدّق فقط تلك الأحلام التي تعلّمنا عن الجحيم والدينونة «لكن لو أصابك اليأس، عندئذ تكون مثل هذه الأحلام أيضًا من الشياطين».

يجلب هذا **اليأس الشيطاني دينونتنا**. «كما لا يستطيع الميت المشي، هكذا لا يمكن للشخص اليائس أن يخلص». إن الشخص الذي لا يؤمن بحنان الله ورحمته، والذي يصبح خائر القوة يقتل نفسه. «الذي ييأس يكون كمن ينتحر». يحثّنا **القديسون** على ألّا نفقد الرجاء حتى آخر نفس في حياتنا: «لا ينبغي علينا أن نيأس حتى آخر نفس» **(يوحنا السلمي)**.

لقد أكّدنا بالفعل أن العديد من الناس في هذه الأيام، لا يريدون سماع التوبيخات الشافية حتى من أبيهم الروحي، وإذا وُبِّخوا فإنهم يسقطون في يأس عميق. قد يقرأ البعض سيرة حياة القديسين وتعاليمهم ويشعرون باليأس معتقدين أنهم لم ينجزوا شيئًا. يكون ذلك صحيحًا من أحدى وجهات النظر. فآجلًا أم عاجلًا لا بدّ وأن تتحطم «**واجهة**» **القداسة والاحترام**، وعندئذ يتعين علينا إعادة بناء بيت النفس. ينبغي علينا أن نتوقف عن العيش في **أحلام وخيالات**. عالم الخيال يكون مصدر العديد من تشوّهات النفس والمشاكل الداخلية. ينبغي إماتة هذا النوع من الوهم.

يتكلم العديد من القديسين عن **اليأس المقدّس**، الذي يختلف عن **يأس العالم**. ينبغي علينا أن نتوقف عن تصديق صورتنا عن أنفسنا التي هي مصدر تشوهات خطيرة. إلّا أنه بالإضافة إلى موهبة اليأس المقدس العظيمة، ينبغي علينا أن نُنَمّي الرجاء في الرب. ينبغي علينا أن نصدق بؤسنا وعدم نفعنا، إلّا أنه ينبغي علينا في نفس الوقت أن نُؤمن **بحب الله العظيم، ومحبته للبشر ورحمته**.

تنمو الصلوات بهذه الطريقة. ثم، بحسب قوة صلواتنا وبحسب نمونا في التوبة، يعطينا الله بركته. إذا سمع شخص ما عن إنجازات القديسين الفائقة للطبيعة، أو فضائلهم الغريبة ويئس من نفسه كشخص فإنه يكون «الأقل عقلانية». إن أي مسيحي مستبصر، ودارس لِسِيَرِ القديسين إمّا أن يبدأ في تقليدهم بشجاعة، أو يكتسب من خلال التواضع، إدانة النفس ويدرك ضعفه، ويلوم نفسه (القديس يوحنا السلمي).

بالتالي يوجد يأس على المستوى البشري، الذي هو عمل **الشياطين** وهو يصيبنا بالشلل، ويوجد **يأس مقدس متولد عن نعمة الله، ويقودنا للصلاة وطلب رحمة الله**. إن العلامة المميزة للأول هي **الخمول والتبلد**، وعلامة الثاني هي **الصلاة والرجاء في الرب**.

٣- الشجاعة

على الرغم من أن الآباء القديسين يشجبون **الاكتفاء الذاتي** في الحياة الروحية، إلّا أنهم يؤكدون على ضرورة **اليأس المقدس** الذي هو خليط من **فقدان الرجاء المبني على وعينا بذواتنا**، ومن **الرجاء العظيم في الله**. إنهم يعطون أيضًا أهمية كبرى لفضيلة الشجاعة، التي تُمكِّن الشخص من تحمل الحرارة الحارقة الناجمة عن الوعي بالدينونة والجحيم. مَن يقتني فضيلة الشجاعة تلك، هو وحده القادر على التغلب على هذه **التجربة العظيمة** عندما يواجهها في مسيرته الروحية. يستطيع المرء أن يقف على حافة الجحيم حاملًا الرجاء في محبة الله من خلال الشجاعة، حتى لو كان في النار مع لهيب الجحيم. يحرق هذا اللهيب الأهواء، لكن الشجاعة الروحية تجعله يلجأ إلى الله ويطلب رحمته وبركته.

الشجاعة هي إطار شجاع للذهن مع رجاء كامل في الله. مثل هذه الشجاعة الروحية لا تُقَدَّر بثمن. يحثنا القديس يوحنا السلمي قائلًا: «اقتنِ كل الشجاعة وسوف تجد الله كمعلم لك في الصلاة». **يموت النوس** كنتيجة **للخطايا والأهواء**، **والنفس الشجاعة** وحدها هي التي تستطيع إعادته للحياة. «تقيم النفس الشجاعة النوس المائت». يتحرّر الشخص الشجاع من تأثير **الشيطان** ويشفي نوسه. «انتبه لكي تكون متواضعًا وشجاعًا، وعندئذ سوف تهرب نفسك من تأثير الشياطين» **(القديس نيلّس الناسك)**.

الشجاعة الروحية هي **عطية من الله**، لكنها تنمو أيضًا بواسطة الإنسان. مثل كل الفضائل، تكون الشجاعة تناغمًا بين الإنسان والله. بحسب **القديس إيسيخيوس الكاهن** توجد أربع فضائل رئيسية تشكل كل الحياة الروحية وهي: **الحذر، الحكمة، الاستقامة والشجاعة**. مُهِمَّة **الحذر** هي أن يحثّ القدرة الحسيّة «لكي تنخرط في حرب داخلية وإدانة الذات». مُهِمَّة **الحكمة** هي أن تدفع القدرة العاقلة نحو اليقظة ومعاينة الله الروحية. مُهِمَّة **الاستقامة** هي توجيه قدرة النفس الراغبة نحو الفضيلة والله. في النهاية، تكون مُهِمَّة **الشجاعة** هي أن تَحْكُم الحواس الخمسة بحيث لا تتدنس ذاتنا الداخلية ولا الخارجية، ولا قلبنا ولا جسدنا. يُظهر جهاد الإنسان لكي يحفظ حواسه طاهرة خوفًا من أن يتدنس الجسد والقلب شَجَاعَةً روحيّة، بل أنه حتى ينميها أكثر. بالإضافة إلى ذلك، بحسب **إيليا الكاهن**، للنفس الشجاعة مصباحان هما العمل، والثايوريا (الفضيلة العملية، ومعاينة الله) وبالتالي تُوْفِي التزاماتها.

حتى بعد ارتكاب الخطيئة، على الرغم من أن شجاعتنا قد تكون فشلت في مرحلة مبكرة فَسَقَطْنَا في الخطيئة، نحتاج الشجاعة الروحية ثانية. ينبغي علينا أن نلجأ لله بالتمام، ونُلهَم بنعمته ومحبته. هذه التوبة هي «ابنة الرجاء والتخلي عن اليأس» بحسب القديس يوحنا السلمي. إنه يكتب قائلًا: «التوبة هي ارتياب دائم في راحة الجسد. التوبة هي فكر إدانة الذات، واعتناء بالذات خالٍ من رعاية الذات. التوبة هي ابنة الرجاء والتخلي عن اليأس. التائب محكوم عليه غير مخزي. هذه التوبة العميقة، التي تنشط بواسطة الروح القدس، هي ابنة الرجاء والتخلي عن

الخزي. يشعر التائب بأنه رجل محكوم عليه، لكن بدون خزي. إنه مدان متحرر من الخزي».

بعد الخطيئة، تلجأ النفس الشجاعة لله ثانية وتطلب الشفاء. سأل أخ **الأنبا بيمن:** «لو سقطت في خطيئة يوبخني ضميري ويتهمني قائلًا: لماذا سقطت؟». فأجاب القديس قائلًا: «في اللحظة التي يضلّ فيها الشخص، لو قال «أخطأت» تكف الخطيئة في الحال». من أجل ذلك، بحسب نفس القديس، «إذا كُنَّا شُجعانًا يرحمنا الله».

الخلاصة هي أنه ينبغي علينا أن نُحرِّر ذواتنا من **الاكتفاء بالذات**، الذي يُبقي علينا في حالة دائمة من **المرض والموت الروحي وجهل ذواتنا الحقيقية**. ينبغي علينا أن نسأل الله أن يعطينا معرفة بذواتنا، وأن يعلن لنا جراحات نفوسنا. لو شعرنا باليأس بعد هذا الإعلان، ينبغي علينا أن **نلجأ لله بشجاعة ونطلب رحمته**. سوف تعطينا هذه **الشجاعة الروحية القوة** لكي نعبر هذا الطريق الصعب المؤدّي إلى اختبار **رحمة الله ومحبته**.

مختارات آبائية حول الصوم

القديس باسيليوس الكبير:

إن الصوم الحقيقي هو سجن الرذائل أي ضبط اللسان، وإمساك الغضب وقهر الشهوات.

القديس ثيوفان الحبيس:

في الصوم أُدْخُلْ إلى قلبك وافْحَصْهُ بدقة لتعرف بأي أفكار وأوجاع هو يرتبط.

القديس إسحق السرياني:

صوم اللسان خَيرٌ من صوم الفم وصوم القلب خيرٌ من الاثنين.

القديس يوحنا الدمشقي:

اذا تناولت الكأس لتشرب، فاذكر الخل والمرارة التي شربها يسوع من أجلك وبذلك تضبط نفسك.

القديس موسى الأسود:

اعلم يقينًا ان كل انسان يأكل ويشرب بلا ضابط، ويحب أباطيل هذا العالم فانه لا يستطيع أن ينال شيئًا من الصلاح، بل ولن يدركه لكنه يخدع نفسه.

إذا قَاتَلَتْكَ الشياطين بالأكل والشرب واللبس، فارفض كل ذلك منهم وبيِّن لهم حقارة ذاتك فينصرفوا عنك.

القديس أفرام السرياني:

خبز وملح مع سكوت وراحة، أفضل من أطعمة شريفة مع هموم وأحزان.

ثمين هو الصوم الطاهر أمام الله، وهو محفوظ ككنز في السماء، الصوم سلاح أمام الشرير، وترس نردُّ به سهام العدوّ.

القديس مكسيموس المعترف:

من غلب الحنجرة فقد غلب كل الأوجاع.

القديس يوحنا الذهبي الفم:

ليتنا لا نثق بأَنَّ الصوم الخارجي عن أطعمة منظورة يكفي وحده لنقاوة القلب وطهارة الجسد ما لم يصاحبه صوم النفس.

كرامة الصوم ليست في الامتناع عن الطعام بل في الانسحاب من الأعمال الشريرة.

القديس يوحنا السلّمي:

طريق الصوم يؤدي لطريق النقاوة. الصوم هو بتر الشهوة والأفكار الشريرة، وهو نقاوة الصلاة واستنارة النفس، وضبط العقل والتخلص من قساوة القلب وهو الباب للندم.

من بستان الرهبان:

لا بد أن يرتبط الصوم بالتوبة، لأن المهم هو القلب النقي وليس الجسد الجائع.

أن إمساك البطن هو أن تقلل من شبعك قليلًا، وان كان عليك قتال فاترك قليلًا أكثر.

لا تَصُم بالخبز والملح، وأنت تأكل لحوم الناس بالدينونة والمذمة. لا تقل أنك صائم صومًا نظيفًا وأنت متّسخ بكل الذنوب.

من يضبط فمه فان أفكاره تموت كجرّة فيها حيات وعقارب، إن سُدّ فم الجرّة تموت.

الصوم بدون صلاة واتّضاع يُشبه نسرًا مكسور الجناحين.

الأيقونات: ١) يوحنا الذهبي الفم، ٢) باسيليوس الكبير، ٣) يوحنا الدمشقي

ترنيمة للرب يسوع المربي – للقديس إكليمندس السكندري (قرن ٢)

أنت لجام المهُور الجامحة،
أنت جناح الطيور فلا تتيه،
أنت الدفة الثابتة لسفننا في البحر،
أنت راعي خراف الله الملكية.
أولادك البسطاء،
يتجمعون حولك،
ويغنون لك بكل رهبة وتقديس،
ويرنمون لك بإخلاص،
بشفاة نقية لا تعرف الغش،
إليك أيها المسيح مرشدهم.
أنت ملك القديسين،
كلمة الآب المرهوب،
أنت حاكم كل الأشياء،
السائد دائمًا بكل حكمة،
البلسم الشافي لكل العمال،
مصدر الفرح اللانهائي،
يسوع القدوس، مخلص
الناس الذين يصرخون إليك.
أنت الراعي، أنت العريس،
أنت الدفة، أنت اللجام،
أيها الجناح، يا من تقود
قطيع البراءة إلى السماء.

* * * * *

ياصياد الناس،
يا من اجتذبتهم بسلامة،
من محيط الخطيئة،
صيدًا لحياة نقية،
أسماكًا غير ملوثة،
من بحر العدو الشرير.
أيها الراعي كلي القداسة،
إرشدنا نحن أولادك،
وَجِّه خرافك بسلامة أيها الملك!

* * * * *

خطوات المسيح،
طريق مُؤَدٍ إلى السماء،
لأزمنة غير محدودة،
الكلمة الأبدية،
ضياء الخلود،
ينبوع الرحمة،
الذي يغرس الفضيلة،
في قلوبٍ تقدم لله،
هدية تبجيلهم،
يا يسوع، مسيحنا!

* * * * *

حليب العروس،
معطى من السماء،
نابع من أثداء حلوة،
أي عطايا حكمتك،
التي يتغذى عليها،
أطفالك الصغار،
بشفاه أطفال رُضَّعْ،
يملئون نفوسهم،
بمذاق روحي،
من أثداء الكلمة.

* * * * *

هلموا نغني جميعًا،
للمسيح ملكنا،
أغاني البراءة الحلوة،
تراتيل النقاوة الساطعة،
الشكر والامتنان المقدس،
من أجل تعاليم الحياة.
هلموا نُمجد بابتهاج،
ذلك الطفل كلي القدرة.

* * * * *

هلموا نحن المولودين للمسيح،
نهتف ونغني في تناغم،
جوقة السلام بصوت مرتفع،
نحن القطيع النقي غير الملوث،
نغني لله، رب السلام.

Reference: Fathers of the 23, Church Series, Volume Catholic University of America Press, Clement of Alexandria, The Educator, 3. End of part

روح العالم وروح الله

القديس نيقولاي فيليميروفيتش

نقلتها إلى العربية منيرة فرح

«وَنَحْنُ لَمْ نَأْخُذْ رُوحَ الْعَالَمِ، بَلِ الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ» (كورنثوس الأولى ٢:١٢).

أيها الأخوة إنَّ روح هذا العالم هي **روح الغرور والقوة**، والروح التي من الله هي **روح الوداعة واللطف**. وقد أكد الرسول على أن أَتْبَاع المسيح لم يتلّقوا روح هذا العالم وإنما «الرُّوحَ الَّذِي مِنَ اللهِ» الذي انبثق من الله الآب كرائحة حلوة العبير مثل رائحة الزهور، ومثل عطر رائع انسكب على روح الانسان جاعلًا منها جبارة، مشرقة، شاكرة وممتعة.

إن البشر بحسب الطبيعة وُدَعَاءُ لطيفون. كتب **ترتيليان** يقول: «روح الإنسان بالطبيعة هي مسيحية». ولكن بسبب روح هذا العالم هي سريعة الانفعال وَغَضوبَةٌ. فإن **روح هذا العالم** تُحوِّل الحملان إلى ذئاب بينما **روح الله** تحوّل الذئاب إلى حملان.

يضيف الرسول أيضًا أننا نتلقى روح الله «لِنَعْرِفَ الأَشْيَاءَ الْمَوْهُوبَةَ لَنَا مِنَ اللهِ» (كورنثوس الأولى ٢:١٢). أي لكي نعرف ما هو من الله فينا وما ليس من الله، ولنتذوق حلاوة وجمال ما هو آتٍ من الله، ومرارة ما ليس من الله وإنما من روح هذا العالم. لذا طالما أن الإنسان خارج طبيعته ودون طبيعته فهو يعتبر المرارة حلاوةً، والحلاوة مرارة، ولكن بروح الله يعود إلى طبيعته الحقيقية ومن ثم يعتبر الحلاوة حلاوة، والمرارة مرارة.

من يستطيع إعادة الإنسان إلى الله؟

من يستطيع شفاءه من المرارة المسمِّمة الخاطئة؟

من يستطيع أن يعلّمه بواسطة التجربة أن يفرق بين الحلاوة الحقيقية والمرارة؟

لا أحد سوى الروح الذي من الله.

لذلك أيها الأخوة دعونا نصلي إلى الله ليمنحنا روحه القدوس كما منح الروح القدس لتلاميذه وقديسيه. وعندما يحلّ هذا الروح القدس فينا يصل ملكوت الله حيث كل الحلاوة بحد ذاتها، والخير فقط، والنور فقط، والوداعة فقط واللطف فقط.

أيها الروح القدس، روح الوداعة واللطف، هلّمَ واسكن فينا.

المحبة

عظة للقديس ثيوفانس الحبيس

ترجمة الأب أنطوان ملكي

إن **القديس يوحنّا اللاهوتي، الرسول والإنجيلي، تلميذ الرب المحبوب**، هو قبل كل شيء مثال للمحبة ومعلّم لها، فالمحبة تتنفس من خلال إنجيله، فيما دروسها تملأ رسائله، وحياته هي مثال واضح عنها.

لقد شرح حول كل أسرار المحبة: مصدرها، حركتها في الأعمال، أوجها، والقمم التي تقود تابعها إليها. إن القديس يوحنا معروف جدًا وبشكل خاص في موضوع المحبة هذا. وإذا تأمّل أيٌّ كان بموضوع المحبة، لا بد أن يفتكر مباشرة بالقديس كمثال لها وأن يتحوّل إليه كمعلم عنها.

فلنتفحّص الآن كيف استعمل حكماء هذا العصر تعليمه. إن عندهم نوعًا خاص من الحكمة التافهة تسمّى «**اللاتفريقيّة**» *(Indifferentism)*. وهم يقولون بحكمتهم: آمِن بما يحلو لك فهذا لا يهم، إنما أحبب الجميع كإخوتك، كُن مُحسنًا إليهم، وليكن لك تأثير مفيد عليهم. إنهم يشيرون إلى أن الإنجيلي يوحنّا يحكي عن المحبة فقط. بالنسبة إليه، المحبة هي النور والحياة وكل الكمال. وبحسب كلماته، مَن لا يحب يمشي في الظلام ويسكن في الموت ويكون قاتلًا.

كما نعرف، عَجِزَ القديس يوحنّا عن المشي في شيخوخته، فكانوا يحملونه إلى الكنيسة. هناك يحذّر: «أَيُّها الإخوة، لنحب بعضنا بعضًا». إذًا هو أعطى المحبة قيمة كبرى. لكنهم يخبروننا بأنه علينا أن نحب مثل تلك المحبة الغريبة، إذا رغبناها وَأَرَدْنَاها.

أنا شخصيًا اضطررت لسماع هذه «الحكمة». قد تضطرون إلى سماع شيء مماثل. فلنقابل **تعليمهم المُضَلِّل بتعليم القدّيس يوحنّا اللاهوتي الصحيح** ولنحفظ أفكارنا من الميل عن أصول الحِسّ المسيحي الصحيح إلى **حكمة اللاتفريقيين العبثية**. يرغب هؤلاء المدعوون حكماء ببناء كل شيء بمعزل عن الله بما فيها سعادتهم الخارجية وفضيلتهم. ومن هذا يجاهدون حيثما استطاعوا لكي ينسجوا بحنكة مدرسةً فكريةً لا حاجة فيها للكلام عن الله. إنهم يقرعون طبول المحبة ويخبروننا بأن نحب بعضنا البعض لكن من دون داعٍ للتفكير بالله. إن الإنجيلي القديس يهزمهم عند هذه النقطة. مع أنه يذكّرنا دائمًا وبشكل دقيق بمحبة أحدنا الآخر، لكنه يضع المحبة في ارتباط قوي مع الله، مع محبته ومعرفته المستحيل فصلهما. لاحظوا أين تنشأ محبة القديس يوحنا لله، ليس في أننا نحبه بل في أنه هو يحبنا، وقد أرسل ابنه ليكون الكفارة عن خطايانا. ويضيف أيها الأحباء إن كان الله قد أحبنا هكذا ينبغي أن يحب بعضنا بعضًا (١ يوحنا ٤: ١٠-١١). بحسب تفكيره، يجب أن تُبنى محبتنا المتبادلة بعمل الإيمان بالرب الذي أتى ليخلصنا، وبالتالي ليس صحيحًا أن يؤمن المرء كما يحلو له.

ثم يعلّم، «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لِنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، لأَنَّ الْمَحَبَّةَ هِيَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ مَنْ يُحِبُّ فَقَدْ وُلِدَ مِنَ اللهِ وَيَعْرِفُ اللهَ.» (١يو٤: ٧). «إِنْ أَحَبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا، فَاللهُ يَثْبُتُ فِينَا» (١يو٤: ١٢)، «اَللهُ مَحَبَّةٌ، وَمَنْ يَثْبُتْ فِي الْمَحَبَّةِ، يَثْبُتْ فِي اللهِ وَاللهُ فِيهِ.» (١يو٤: ١٦). كما ترون، إنه لا يقول أي كلمة عن المحبة بدون ذكر الله والمخلّص. المحبة هي من الله وتقود إليه. إذًا مَن يقول أنه يحب أخاه ولا يعرف الله والمخلص، هو كاذب وليس مُحقًا (١يو٢: ٤ و٤: ٢٠). وهكذا من الممكن أن نلخّص كل تعليم الإنجيلي عن المحبة بالكلمات التالية: حتى تحبّ أخاك يجب أن تحبّ الله، ولكي تحبّ الله، عليك بالتأكيد أن تعرفه في داخلك، وتعرف بشكل خاص عمله الخلاصي لنا. يجب أن نعرف ونؤمن. بمَ تكمن إرادة الله؟ بالمحبة والإيمان، «وَهذِهِ هِيَ وَصِيَّتُهُ: أَنْ نُؤْمِنَ بِاسْمِ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ، وَنُحِبَّ بَعْضُنَا بَعْضًا كَمَا أَعْطَانَا وَصِيَّةً.» (١يو٣: ٢٣). إنه لا يوصينا فقط بأن نحب بل أيضًا بأن نؤمن بالرب، وبطريقة يكون الإيمان مصدر المحبة. إذا شاء أحد ما أن يجمع كل الأماكن التي يحكي فيها الإنجيلي يوحنا عن المحبة فقط، لا بد أن يضحد تعليمه التفكير الخاطئ بأن تحب وتؤمن كما يحلو لك.

إلى جانب تعليمه عن المحبة هو يتكلّم أيضًا عن الإيمان مستقلًا عن ناموس المحبة. انظروا كيف أنه يرفض بشكل مطلق أولئك القائلين: أحب كيفما تشاء. ماذا يعلّم في الآيات الأولى: «اَلَّذِي كَانَ مِنَ الْبَدْءِ، الَّذِي سَمِعْنَاهُ، الَّذِي رَأَيْنَاهُ بِعُيُونِنَا، الَّذِي شَاهَدْنَاهُ، وَلَمَسَتْهُ أَيْدِينَا، مِنْ جِهَةِ كَلِمَةِ الْحَيَاةِ. فَإِنَّ الْحَيَاةَ أُظْهِرَتْ، وَقَدْ رَأَيْنَا وَنَشْهَدُ وَنُخْبِرُكُمْ بِالْحَيَاةِ الأَبَدِيَّةِ الَّتِي كَانَتْ عِنْدَ الآبِ وَأُظْهِرَتْ لَنَا. الَّذِي رَأَيْنَاهُ وَسَمِعْنَاهُ نُخْبِرُكُمْ بِهِ، لِكَيْ يَكُونَ لَكُمْ أَيْضًا شَرِكَةٌ مَعَنَا. وَأَمَّا شَرِكَتُنَا نَحْنُ فَهِيَ مَعَ الآبِ وَمَعَ ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ.» (١يو ١: ١-٣).

أهم نقطة عند القديس يوحنا وسائر الرسل هي التعليم عن الشركة مع الله عبر الرب يسوع المسيح الذي منه تنبع شركة المؤمنين مع بعضهم البعض. كيف لنا أن نحب الأول دون الآخر؟ من ثم يسأل القديس يوحنا هذا السؤال: مَن هو الكاذب؟ ويجيب هكذا: «مَنْ هُوَ الْكَذَّابُ، إِلَّا الَّذِي يُنْكِرُ أَنَّ يَسُوعَ هُوَ الْمَسِيحُ؟ هذَا هُوَ ضِدُّ الْمَسِيحِ، الَّذِي يُنْكِرُ الآبَ وَالابْنَ. كُلُّ مَنْ يُنْكِرُ الابْنَ لَيْسَ لَهُ الآبُ

أَيْضًا، وَمَنْ يَعْتَرِفُ بِالابْنِ فَلَهُ الآبُ أَيْضًا.» (١يو٢: ٢٢- ٢٣، ٤: ١٥). تتلخص كل القضية في الاعتراف بأن الرب يسوع المسيح هو ابن الله وإله. إذًا، كيف يكون ممكنًا القول «**آمِن كما تريد**».

من ثمّ يأتي التحذير: «أَيُّهَا الأَحِبَّاءُ، لاَ تُصَدِّقُوا كُلَّ رُوحٍ، بَلِ امْتَحِنُوا الأَرْوَاحَ: هَلْ هِيَ مِنَ اللهِ؟ لأَنَّ أَنْبِيَاءَ كَذَبَةً كَثِيرِينَ قَدْ خَرَجُوا إِلَى الْعَالَمِ. بِهذَا تَعْرِفُونَ رُوحَ اللهِ: كُلُّ رُوحٍ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ فَهُوَ مِنَ اللهِ، وَكُلُّ رُوحٍ لاَ يَعْتَرِفُ بِيَسُوعَ الْمَسِيحِ أَنَّهُ قَدْ جَاءَ فِي الْجَسَدِ، فَلَيْسَ مِنَ اللهِ. وَهذَا هُوَ رُوحُ ضِدِّ الْمَسِيحِ» (١ يوحنا ٤: ١-٣). كلّ مَن يقول «**آمِن كما تشاء**» لا يعترف **بيسوع المسيح**، لأنه لو اعترف **بالمسيح** فلا يتكلّم هكذا. إذًا لا يستطيع أن يكون من **الله**. إذًا من أين هو؟ إنه بالحقيقة من **ضد المسيح**.

في النهاية، يصف الإنجيلي جوهر المسيحية على هذا المنوال: «وَهذِهِ هِيَ الشَّهَادَةُ: أَنَّ اللهَ أَعْطَانَا حَيَاةً أَبَدِيَّةً، وَهذِهِ الْحَيَاةُ هِيَ فِي ابْنِهِ. مَنْ لَهُ الابْنُ فَلَهُ الْحَيَاةُ، وَمَنْ لَيْسَ لَهُ ابْنُ اللهِ فَلَيْسَتْ لَهُ الْحَيَاةُ.» (١يو٥: ١١-١٢). مَن عنده ابن الله؟ المؤمنون باسمه.

لذلك يقول ويكتب: «أَنْتُمُ الْمُؤْمِنِينَ بِاسْمِ ابْنِ اللهِ، لِكَيْ تَعْلَمُوا أَنَّ لَكُمْ حَيَاةً أَبَدِيَّةً» (١يو٥: ١٣). بالتالي، إن مَن لا يؤمن بابن الله ليست له الحياة الأبدية. أمن الممكن أن لا فرق بالإيمان؟ لا. «وَنَعْلَمُ أَنَّ ابْنَ اللهِ قَدْ جَاءَ وَأَعْطَانَا بَصِيرَةً لِنَعْرِفَ الْحَقَّ. وَنَحْنُ فِي الْحَقِّ فِي ابْنِهِ يَسُوعَ الْمَسِيحِ. هذَا هُوَ الإِلهُ الْحَقُّ وَالْحَيَاةُ الأَبَدِيَّةُ.» (١يو٥: ٢٠).

يجب أن تكون هذه المقاطع كافية، على ما أفترض، لكي تُظْهِر **للافريقيين** أنهم عبثًا يسعون إلى إيجاد تأييد لكذبهم في تفسير تعليم القديس يوحنا اللاهوتي. على الأرجح أنهم يطلقون هذه الادعاءات من دون أن يكونوا قد قرأوا كتابات القديس يوحنا المقدسة الملهَمة من الله، لكنهم يقتبسون منه استنادًا إلى إشاعات عن محبته الفيّاضة. فليجدوا لهم الآن شيئًا غير هذه الحجة ليدافعوا عن تعليمهم أمامنا نحن المؤمنين. إن كلمة واحدة من التلميذ المحبوب تكفي لتخزي تعليمهم، وتثبّت بلا شك إيماننا على نحوٍ بَيِّنٍ ، في ما أُعْطِيَ لنا من الرب عبر الرسل القديسين وَحَفَظَةِ الكنيسة.

أرغب فقط في أن أضيف الاعتبار التالي إلى كلمات الرسول الإنجيلي يوحنا الحاسمة: بعد أن غرّبوا أنفسهم بفكرهم عن الرب، تعلّق هؤلاء عادمو الإيمان بأعمال الرحمة التي مصدرها ودعامتها المحبة. إنهم يتصرفون بهذه الطريقة فقط حتى يستندوا إلى شيء، ومن دون أن يكونوا أكيدين أنهم قد وجدوا أساسًا صلبًا. لو كان عندهم فهمٌ واضحٌ لكيفية تصرُّف الرجل بطريقة مثمرة، لما ثبتوا في تعليمهم.

إن جوهر المسألة هو أننا لسنا في الوضع الملائم. إذًا نحن لا نستطيع أن نتصرّف بالطريقة الصحيحة. لكي نعمل بالطريقة الصحيحة يجب أن ندخل في الحالة الصحيحة. نحن نعجز عن هذا بقوانا الذاتية. الرب، إذ أتى إلى الأرض، رفع الإنسان إلى الحالة الصحيحة. لم يَقُدِ الإنسان إلى هذه الحالة، إلّا لأن الأخير قبِل منه بشرية مجدَّدة، وبالتالي ربح إمكانية التصرف بالشكل الملائم. نحن نكتسب هذه الحالة بالمعمودية، لأن المُعَمَّدِين في المسيح لبسوا المسيح. منذ المعمودية نصبح واحدًا مع السيد ونبدأ بعيش حياته والعمل بقواه.

على الذين يدّعون المحبة والعمل الصحيح، (لأن المحبة هي ملء الناموس) أن يقبلوا أولًا كل مقدمات المسيحية لكي يصبحوا قادرين على السير بحق ويرفضوا أخطاءهم. هذا مستحيل من دون الإيمان، لأن الإيمان هو جذر المسيحية وبداية كل شيء. يقول الرب نفسه: «اُثْبُتُوا فِيَّ وَأَنَا فِيكُمْ. كَمَا أَنَّ الْغُصْنَ لاَ يَقْدِرُ أَنْ يَأْتِيَ بِثَمَرٍ مِنْ ذَاتِهِ إِنْ لَمْ يَثْبُتْ فِي الْكَرْمَةِ، كَذلِكَ أَنْتُمْ أَيْضًا إِنْ لَمْ تَثْبُتُوا فِيَّ. أَنَا الْكَرْمَةُ وَأَنْتُمُ الأَغْصَانُ. الَّذِي يَثْبُتُ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ هذَا يَأْتِي بِثَمَرٍ كَثِيرٍ، لأَنَّكُمْ بِدُونِي لاَ تَقْدِرُونَ أَنْ تَفْعَلُوا شَيْئًا. إِنْ كَانَ أَحَدٌ لاَ يَثْبُتُ فِيَّ يُطْرَحُ خَارِجًا كَالْغُصْنِ، فَيَجِفُّ وَيَجْمَعُونَهُ وَيَطْرَحُونَهُ فِي النَّارِ، فَيَحْتَرِقُ.» (يوحنا ١٥: ٤-٦).

إذا راح أحدهم يشرح لكم عن المحبة والعمل المثمر بمعزل عن الإيمان الصحيح، قولوا له: «انتظر! آمن أولًا بشكل صحيح. بالإيمان اكتسب تعاليم المسيحية الخلاصية، ومن خلالها اتَّحِدْ بالرب واجعل حياتك وقوتك متوقفتين عليه كما قد تعتمد صحتك على دواء، وعندها يصبح عملك مثمرًا. إن الحقيقة هي أن الشهادة لحياة بارةٍ هي العمل المثمر في المحبة، ولكن لبلوغها والثبات فيها على المرء أن يقبل حقيقة الله بإيمان، ويعبر في كل أعمال الله المقدّسة. فقط في هذه الشروط، أي بالسلوك بالمحبة الحقيقية، يمكن للمرء أن ينمو في كل شيء إلى الله، على ذاك الذي هو الرأس، المسيح (أفسس ٤: ١٥). نستطيع أن نحمل على هذا النحو: مَن ليس له الإيمان الصحيح، فلا يدخل حالة البِرّ، ومَن لا يدخل حالة البِرّ فلا يستطيع أن يعمل كما ينبغي. أترون الآن كيف لا يصح القول: **آمن كما يحلو لك، فقط أحب؟**»

الإيمان ليس صورة معرفة الله وعلاقتنا به، بل هو يتضمّن كل ما أعطانا الله من الأمور الخلاصية، **ليس الكنيسة فقط كمؤسسة بل كل ما تحتويه للخلاص**. هذه المؤسسات الخلاصية تصون الإيمان الفاعل. رجالنا الذين يسمّون أنفسهم حكماء قد لا يعارضون التعليم المسيحي، لكن، قبل كل شيء، الأعراف المسيحية تصدّهم، لأن هذه الأعراف ليست أكثر من الإيمان بالحقيقة والعمل، وهكذا فإن خطيئتهم الأساسية هي أنهم لا يرغبون في العمل بروح الإيمان. من المدهش كيف أن هؤلاء الأشخاص يعلّقون بإصرار على المآثر والأعمال، لكنهم يسلخون أنفسهم عن النشاط في حقل الإيمان المقدس. هنا ينقص شيء ما. بالتأكيد، هم مطّلعون على قوانين الفكر المنطقي. يوجد هنا ازدواجية حتى أنّ المرء يشك في أنهم فعلًا فاعلون، وليسوا أدوات لروح غريب هو بدوره غريب عن الحق.

أيها الإخوة، إذ قد فهمنا هذا، لنحفظ أنفسنا من **فكر هذا العالم الشرير**. لا يتردّد عن الحق إلّا الذين لم يتذوقوه. فلنمتلئ من التواضع ومن روح الحق الذي هو كل ما يطلبه إيماننا المقدس، عندها سوف نمتلك ونحمل في داخلنا شهادة تهلك كل الحجج الخاطئة التي في الخارج. لينيرنا الرب بحقه، آمين.

قراءة عن الصمت والصحراء والصلاة

عن كتاب القفر في قلب المدن

إعداد راهبات دير
مار يعقوب الفارسي المقطع،
دده – الكورة

من الواضح أنّ البشريّة تواجه مشاكل كثيرة، تزداد مع الزمن، وتُحدث اضطرابات عميقة في نفوس جميع البشر. ولا ضرورة للتأكيد، أنّنا لا نقدر ولا يحقّ لنا البتّة، نحن المسيحيّين، أن نطرح جانبًا هذا العالم الغريب القَلِق والمجهول المصير، لأنّ المسيح انخرط في العالم، ونحن خاصّته، فكوننا جسد المسيح السرّي فنحنُ ننتمي إلى هذا العالم، عالم المعلوماتيّة الذي يطرح على عقولنا وقلوبنا ونفوسنا مسائل تتوسّع يومًا بعد يوم. فالعلم يتقدّم بسرعة، يتزايد يوميًّا، ويفوق ما يتمكّن إنسان اليوم، بل إنسان الغد، من إدراكه وفهمه واستيعابه.

هناك اكتشافات علميّة كثيرة بالغة السرّيّة، لم تُعلن بعد، يمكنها أن تصنع من الإنسان رَجُلًا آليًّا، لا بل يقال إنّه سيصبح من الممكن تحويل الإنسان وراثيًّا، واخضاعه لغسل الدماغ، ومع ذلك يبقى الإنسان سِرًّا. هو في جوهره سِرٌّ إلهيّ. والقول الذي سيبدو غريبًا هو أنّ ما يستطيع مساعدة الإنسان العصريّ على اكتشاف أجوبة عن سرّه الذاتيّ، وسرّ الذي خُلق على صورته، هو الصمت والخلوة وبكلمة واحدة الصحراء. فالإنسان العصريّ بحاجة إليها أكثر ممّا كان يحتاج إليها الزهّاد في الماضي.

إذا أردنا أن نشهد اليوم للمسيح بين الناس، حيث تخضع ذواتنا لإغراءات لا نهاية لها، فإنّنا نحتاج إلى الصمت. إذا أردنا أن نكون دائمًا مستعدّين لخدمة الغير، لا ماديًّا فقط، بل عن طريق التعرّف إليه ومصادقته وتفهّمه ومحبّته من دون حدود، فإنّنا نحتاج إلى الصمت. لكي نتمكّن من استقبال القادمين إلينا، بفرح ودون كلل، وأن نقدّم لهم لا المأوى والخبز فقط، بل القلب أيضًا، فنحن نحتاج إلى الصمت.

إنّ صمت الإنسان الحقيقيّ هو التماس الله والتفتيش عنه. الصمت هو مناجاة المحبّين. الصمت الحقيقيّ جنّة مغلَقة، حيث تلتقي النفس بإلهها. الصمت الحقيقيّ هو مفتاح القلب المضطرم بنار محبّة الله. هو قصّة حبّ إلهيّة لا تنتهي إلّا في الصمت الخصب، صمت الاتحاد النهائيّ مع الحبيب.

نعم، إنّ مثل هذا الصمت المقدّس، هو صلاة أعمق من كلّ صلاة، صلاة حضور الله الدائم، حيث النفس، وقد غمرها السلام، تحيا من إرادة ذاك الذي تحبّه حُبًّا كُلّيًّا وتامًّا. إنّه صمت يتجسّد في محبّة تفيض من دون حساب في خدمة القريب. صمت يشهد للمسيح في كلّ مكان وكلّ زمان. ويصبح عندئذ الاستعداد للخدمة لذيذًا وَسَهلًا، لأنّ النفس ترى في كلّ واحد وجه حبيبها. واستقبال الضيوف يصبح عميقًا وصحيحًا، لأنّ القلب الصامت هو قلب محبّ، والقلب المحبّ ملجأ للعالم.

وهذا الصمت البسيط المشبع بالصلاة، هو مُتاح لكلّ إنسان، هو مُلْكُ كلّ مسيحيّ يحبّ الله، هو مُلْكُ جميع الذين بدأت نفوسهم تفتّش عن الحقيقة وعن الله. إذ إنّه، حيث **تسود الضجّة الداخليّة والتشويش**، يكون الله غائبًا.

الصحاري والصمت والخلوة ليست بالضرورة أمكنة، بل هي حالات للذهن والقلب. هذه الصحاري يمكن وجودها في أحداث الحياة اليوميّة العاديّة، يكفي أن نعي حاجتنا الكبرى إليها، ويكفي أن نكون مستعدّين لدخولها، فالاختبار الذي تحمله إلينا يمكن أن يكون غبطة وقداسة، لأنّ الله هو الذي يمنح القداسة للخلوة والصحراء والصمت.

من أوائل الخطوات في اتجاه الخلوة هو الابتعاد. ولكن قلوبنا وعقولنا ونفوسنا تحتاج لأن تكون منسجمة وواعية لهذه الخلوات. ولكي نصبح منسجمين يجب أن نلغي من أفكارنا مسألة الوقت. فالله لا يهمّه الوقت، لأنّه إذا كانت نفوسنا مستعدّة يمكنه أن يدعوها ويغيّرها ويرفعها خلال لحظة كما يقول هوشع النبيّ: «سأقودك إلى البريّة، وهناك أخاطب قلبك» (هوشع ٢:١٦).

لا خلوة من دون صمت. غياب الضجّة ليس بالضرورة صمتًا. يمكن لنهار مملوء بالعمل أن يكون نهار صمت. إنّنا عندما نتكلّم عن أنفسنا، ونكون مملوئين من أنفسنا، ننسى الصمت. الصمت هو الحقيقة التي تكمن في المحبة. الصمت كباقي الأمور في مقدوره أن يجعلنا نعطي أنفسنا، أو بالعكس أن نُصبح عنوانًا للتقتير والبخل، إذ نترك ذواتنا لذواتنا. يقول الكتاب المقدّس أنّنا سنؤدّي حسابًا عن كلّ كلمة بطّالة نطقنا بها. وقد نُطالَب بتأدية الحساب عن الكلمات التي كان علينا أن نتفوّه بها، وبقينا صامتين.

ولكن قد يتبادر إلى ذهننا السؤال كيف نتوصّل فعليًّا إلى هذه

الخلوة؟ هل بالتوقّف عن الحركة؟ إنّ التوقّف وترك هيجان الأعمال القتّال للنفس يقف ويقع من تلقاء ذاته كرداء بالٍ مملوءٍ غبارًا، عندما تقرّر النفس الدخول في الخلوة. وبالحقيقة إنّ الانغماس بكثرة الأعمال ما هو إلّا هربٌ من الذّات، والتهرُّب من الدخول في هذه الرحلة الداخليّة، التي يجب على كلّ إنسان أن يقوم بها، ليصل إلى الله الحيّ المقيم في أعماق النفس. يمكن للإنسان أن يتوقّف عن كلّ جلبة وضجّة خارجيّة تحدثها حياته اليوميّة، والواجبات الملقاة على عاتقه والمطلوبة منه. إنّ هذا التوقّف ضروريّ جدًا لأنّه بدوره يُدخل النفس في جَوٍّ إلهي يولّد الطمأنينة للنفس، طمأنينة الله التي بدورها تولّد الصمت.

في الخلوة والصمت والصحراء يتمّ التوقّف عن الحركة لنلجأ إلى فحص عميق لدوافعنا في الحياة: هل هي مثلًا صالحة لتتقبل أُسُسَ القداسة الحقيقيّة؟ إذ إنّ الإنسان يأتي إلى العالم ليصبح قدّيسًا، عاشقًا **للحبّ الذي مات لأجلنا**. إنّ المأساة الحقيقيّة هي ألّا يصبح الإنسان قدّيسًا. فإذا كانت دوافعنا لا تصلح لوضع أُسُس حقيقيّة وصادقة للقداسة، يجب عندئذ على النفس أن تعيد النظر في كلّ شيء من أساسه، ولن يفوت الوقت أبدًا من أجل انطلاقة جديدة.

في الخلوة والصمت والصحراء، يتمّ رفع القلب والأيدي نحو الله، من أجل الطلب إليه أن تَهُبَّ عاصفة روحه القدّوس، لتنظّف النفس من كلّ خوف وجبن وأنانيّة وجشع وكسل..و.. الطلب إليه أن تنزل ألسنة ناريّة لتمنح النفس شجاعة الانطلاق من جديد، شجاعة البداية في كلّ لحظة في طريق الجهاد.

والغريب أنّه عندما يقيم الصمت إقامة دائمة في النفس، على غرار ما حدث لمريم أخت لعازر عند قدمي المسيح، يصير الكلام أسهل للذين أصبحت نفوسهم متخشّعة تمامًا في هذا الصمت، ويصبح العمل أسهل، ومعاملة الناس ملأى بالرفق والوداعة والصبر. وتشعّ المحبّة في كلّ عمل وكلّ كلمة. وشيئًا فشيئًا، وبطريقة خفيّة غير ملحوظة، يتغيّر العالم من حولهم، لأنّ صمتهم يصبح جزءًا من صمت الله، صمتًا مُحبًّا، قويًّا، مُثمرًا. يُسمِع اللهُ صوتَه من خلالهم، ويُرى وجهُه في وجوههم، ويصبح نوره نورًا مُشعًّا من خلالهم لكلّ قريب. وهكذا يأتي الصمت بالسلام للجميع، ويأتي الحبيب من جديد ليسكن في ما بيننا قائلًا: نعم، «توقّفوا، اعلموا أنّي أنا الله» (مز٤٦: ١١).

ولكن يطرأ هنا خطر لا بدّ أن نذكره: فكما أنّنا لا نعرف في كثير من الأحيان أن نميّز بين الصمت والعزلة الماديّة، قد لا نعرف أن نميّز بين الصلاة والخلوة. فهاتان وجهان مختلفان للحياة الروحيّة. فالصلاة هي، ولا شكّ في ذلك، حياة كلّ مسيحيّ. وبدون الصلاة، وبدون علاقة مع الله، تتلاشى هذه الحياة. نسمع كثيرين في أيّامنا يفكّرون بقصد مراكز يستمتعون فيها بالصلاة، بأماكن يجدون فيها العزلة الماديّة، الخلوة الروحيّة. لهؤلاء نقول: اقبلوا أوّلًا بخلوة قلوبكم. فالصلاة كالصمت، كالخلوة هي أوّلًا مسألة دخول إلى أعماق النفس، عَلَيّ أن أَلِجَ إلى داخلي لألتقي بالثالوث المقيم فِيَّ. الصلاة أمر داخليّ، والقلاّية هي بالحقيقة قلب الإنسان حيث يعلّمه الروح كيف يصلّي. قد تساعد الخلوة على الصلاة وقد تصبح مهدًا للصلاة. ولكن بشكل عامّ لا تتطلب الصلاة مكانًا جغرافيًّا خاصًّا لأنّها هي علاقة محبّة بين الله والإنسان، كما لا تتطلب الخلوة أيضًا مكانًا جغرافيًّا، فقد أكون في خلوة داخليّة وأنا في وسط الناس. فمن الخطأ إذن الخلط بين الصلاة والخلوة، والقول إنّ الخلوة ضرورية للصلاة. بل بالأحرى القول إنّه من المستحسن أن يضع المرء ذاته من وقت لآخر في خلوة. فالصلاة هي عمل دائم للعطاش إلى الله، أما الخلوة فيجب أن تبقى محصورة في وقت محدّد، لئلا تفقد معناها فتصبح هَرَبًا من الأعمال، هَرَبًا من الآخرين، هَرَبًا من الحياة، وهذه طبعًا كلّ شيء إلّا الخلوة والصمت والصحراء. لأنّه من المستحيل أن أصلّي حقًّا إذا لم أخدم أخي، وإلّا أصبحت كالكاهن واللاّوي اللذين لم يتوقّفا أمام الرجل الذي جرحه اللصوص.

الصلاة، الخلوة، الصمت هي مصدر لفرح روحيّ لا يعبّر عنه. فإذا التقيتم يومًا بناسك أو براهب شاحب الوجه، حزين على الدوام، تيّقنوا أنّه ليس ناسكًا حقيقيًّا. الروحيّون هم أكثر الناس فرحًا ولو كانوا في عمر السبعين، لهم عيون الأطفال، وهم مملوءون من فرح عشرة الرب. لا يمكن غشّ الناس بالمظهر، لأنّ المسألة مسألة حضور الرب في النفس، وحضوره حضور مُشعّ بالغبطة والفرح الهادِئَيْن.

إنّ أوّل ما يدخل المجاهد إلى الخلوة سيشعر إلى حدٍّ ما بضَجَّتِهِ الداخليّة، إلى جمع أفكار تهاجمه كالذباب، أفكار من كلّ نوع إلّا الأفكار التي تخصّ الله. وهذا أمر طبيعيّ، لأنّنا أناس عقلانيّون مملوءون بالمعلومات من كلّ نوع، فنحن نحتاج إلى وقت طويل قبل التوصّل إلى طيّ أجنحة العقل وفتح باب القلب. وهنا دور الخلوة: إنّها تدخلنا إلى أعماقنا ثم تجعلنا في اتصال مع الله. لا يهم بماذا تشعرون، حتى إذا لم تشعروا بشيء أيضًا إذ يكفي أنكم أتيتم للقاء الله في موعد شخصيّ. المهمّ هو إسكات العقل الذي بنى العديد من **أبراج بابل**، ولا يزال في كلّ لحظة يبني. افتح باب القلب للقادر وحده أن يتقبلك كما أنت. إنّ صحراء وخلوة النسّاك والرهبان هي في داخلهم أي في روحهم المتخشّعة دومًا، المتطلّعة بحب نحوهم فقط. ومن هنا يعرف الراهب كيف يمكث في الصمت والخلوة والصحراء حيث توجد الصلاة الحقيقيّة، وحيث تنتظره زيارات سرّيّة ينعم بها ومنها يستمدّ القوّة لاستمراره وجهاده.

وأخيرًا إنّ الصحراء والخلوة والصمت ستجردنا من الأنا، وربّ الصحراء أيضًا سوف يجرّدنا. ولكنّنا سنمتلئ من الطمأنينة الصادرة عن الله. في الصحراء والصمت والخلوة نلجأ إلى الصوم والصلاة وهكذا نموت عن أنفسنا لينمو **المسيح** فينا بطريقة أسرع، ونتمكّن من إعطائه إلى العالم بطريقة أسرع، هذا العالم المتعطّش إليه أشدّ العطش. أَلَا أَهَّلَنا الله لنعيش الصمت الحقيقيّ والخلوة الحقيقيّة فَعَسى أن يرتسم نوره علينا فننقله للآخرين آمين.

مع من يتشاور الله؟ – للقديس يوحنا الذهبي الفم

«لنصنع الإنسان بحسب صورتنا» (تك ١)

فليسمع اليهودي.

لمن يتحدث الله؟ فهذا المكتوب هو لموسى، الذين يقولون أنهم يصدقونه، ولكنهم في الحقيقة لا يصدقونه.

فالمسيح يقول: «لأَنَّكُمْ لَوْ كُنْتُمْ تُصَدِّقُونَ مُوسَى لَكُنْتُمْ تُصَدِّقُونَنِي» (يو ٥:٤٦).

في الحقيقة، عندهم الكتب، ولكن عندنا الكنز الذي تتضمَّنه الكتب.

عندهم الحرف، أمّا عندنا فالحرف والروح.

إذًا، لمن قال الله: لنصنع الإنسان؟

يجيب اليهودي: أنه يتحدث إلى ملاك أو رئيس ملائكة.

حقًا، أَمْرُكُمْ مثل عبيد يستحقون السَّوْط: حين يوبِّخهم سيِّدهم ولا يستطيعون أن يجيبوا بلا مواربة، يعلنون كل ما يدور في فكرهم.

قال اليهودي: توجَّه الله إلى ملاك أو رئيس ملائكة.

ولكن أي نوع من الملائكة؟ أيّ نوع من رؤساء الملائكة؟ فلا سلطان للملائكة بأن يخلقوا ولا لرؤساء الملائكة بأن يُسمَّوا هذا. فحين خلق السماء والأرض، ما توجَّه إلى ملاك ولا إلى رئيس ملائكة، بل خلق كل شيء بنفسه. وحين خلق الكائن الحي الذي هو أكرم من السماءِ والكونِ كلهِ أي الإنسان، أفيتخذ الله شريكًا له من العبيد في عمله؟!

لا، لا، ليس الأمر هكذا، لأن عمل الملائكة أن يكونوا معاونين، لا خالقين، ولرؤساء الملائكة أن يؤدُّوا السجود لا أن يكونوا مشاكرين في فكر الله ومشورته.

واسمع ما يقول **أشعيا** عن القوات السرافيميّة الذين هم أسمى من رؤساء الملائكة: «رَأَيْتُ السَّيِّدَ جَالِسًا عَلَى كُرْسِيٍّ عَالٍ وَمُرْتَفِعٍ، وَأَذْيَالُهُ تَمْلأُ الْهَيْكَلَ. السَّرَافِيمُ وَاقِفُونَ فَوْقُهُ، لِكُلٍّ وَاحِدٍ سِتَّةُ أَجْنِحَةٍ، بِاثْنَيْنِ يُغَطِّي وَجْهَهُ» (أش ٦:١-٢). وذلك لكي يحمي عينيه لأنهما لا تستطيعان تحمُّل النور الذي يجري من العرش. يقف السيرافيم لدى العرش، في إعجاب كبير وفي رعدة، وذلك حين ينظرون تنازل الله، بينما أنت تظن الملائكة يشاركون الله في فكره ويقاسمونه تفكيره؟ ليس هذا بالرأي المعقول.

ولكن من هو الذي قال له: لنصنع الإنسان؟

إنه المشير العجيب، صاحب السلطان،

الله القدير، رئيس السلام، أبو الدهر الآتي (أش ٩).

ابن الله الوحيد شخصيًا.

له يقول: «لنصنع الإنسان على صورتنا كشبهنا».

وما قال أيضًا «صورتي وصورتك» ولا «صورتي وصورتكم» .. بل «بحسب صورتنا»، فدلَّ هكذا أنَّ هناك صورة واحدة ومثالًا واحدًا، بينما الله والملائكة ليس لهم صورة واحدة ولا شبه واحد. فكيف تكون صورة وشبه واحد بين السيّد وعابديه؟ ... هكذا سلطان الله وسلطان الملائكة لا يمكن أن يكون واحدًا، لأنه كيف يمكن أن تكون السلطة واحدة للعبيد والسيد، للخدم ولمن يأمر؟!

إيثار الباقية على الفانية

المَـرْءُ آفَـتُـهُ هـوَى ٱلدُّنْـيَا	وَٱلْمَرْءُ يَطْغَى كُلَّمَا ٱسْتَغْنَى
إِنِّـي رَأَيْـتُ عَـوَاقِبَ ٱلدُّنْـيَا	فَتَرَكْتُ مَا أَهْوَى لِمَا أَخْشَى
فَكَّرْتُ فِي ٱلدُّنْيَا وَجِدَّتِـهَا	فَإِذَا جَمِيعُ جَدِيـدِهَا يَبْلَى
وَإِذا جَـمِيعُ أُمُـورِهَا عُـقَبٌ	بَيْنَ ٱلْبَـرِيَّةِ قَـلَّمَـا تَبْقَى
وَبَلَـوْتُ أَكْثَـرَ أَهْلِـهَا فَإِذَا	كُلُّ ٱمرِئٍ فِي شَأْنِـهِ يَسْعَى
وَلَقَدْ بَلَوْتُ فَلَمْ أَجِدْ سَبَبًا	بِأَعَـزَّ مِن قَـنَعٍ وَلَا أَعْلَى
وَلَقَدْ طَلَبْتُ فَلَمْ أَجِدْ كَرَمًا	أَعْلَى بِصَاحِبِهِ مِنَ ٱلتَّقْوَى
وَلَقَدْ مَرَرْتُ عَلَى القُبُورِ فَمَا	مَيَّزتُ بَيْنَ ٱلعَبْدِ وَٱلْمَوْلَى

التعامل مع عيد ميلاد مُدَهْرَن

سؤال: أنا أكره دهرنة عيد الميلاد. كيف يمكننا، أنا وعائلتي، أن نحافظ على صوم الميلاد ونحتفل بالعيد من دون الدخول في كل الاستهلاك التجاري الذي يحيط به في المجتمع؟

تقريبًا، كلّ ما يمكن أن يُقال في الردّ على هذا السؤال واضحٌ جدًا وبسيط، ولكن قد يكون من الصعب تنفيذه. بالنسبة للعائلات، من المستحسن الحديث عن كل هذه النقاط ضمن العائلة، وتشجيع الأفراد بعضهم البعض على التمسّك بالصوم خاصةً مع الاقتراب من عيد ميلاد ربنا وإلهنا ومخلصنا يسوع المسيح. هذه الاقتراحات هي بداية إن لم تكن قد أُحرِزَت فالوقت ليس متأخرًا للبدء بذلك.

أولًا وقبل كلّ شيء، تأكدوا من أن تحفظوا الصوم! باحترام الصوم كما ينبغي، يتم تلقائيًا القضاء على العديد من الاختراقات التي يقوم بها العالم للدخول إلى بيوتنا خلال هذه الفترة. تذكروا، الصوم لا يقتصر فقط على الغذاء، ولكنه يشمل الترفيه العبثي أيضًا.

مع هذا في الاعتبار، نود أن نؤكد أنه لا ينبغي لأحد أن ينظر إلى «الصيام» كامتناع أو عمل سلبي: «**لا نستطيع أن نفعل ...**»، «**لا يمكن ألّا نأكل ...**»، «**لا يمكن ان نذهب...**» بدلًا من ذلك نحن بحاجة إلى إعادة تعريف رؤيتنا لفترة الصيام. إنها فترة إعداد الزَّمن للنمو الروحي، وهذه الفكرة بالتأكيد ليست مفهومًا سلبيًا!

إن العالم الذي نعيش فيه يتطفّل باستمرار على عمق حياتنا حيث يهاجم كلّ حواسنا الجسدية. هذا الأمر يكون أوضح خلال هذه الفترة من السنة. إنه يشجّعنا على أن نرى ونسمع ونتذوّق ونلمس ونشمّ كلّ أنواع الأشياء، التي تلهي عقولنا عن الخروج في الطريق إلى بيت لحم لميلاد المسيح.

بالتأكيد، بالنسبة لأولئك الذين بلا عائلة وأطفال صغار في المنزل، ما يتعين القيام به لجعل صوم الميلاد زمانًا فعليًا للنمو الروحي أسهل بكثير. إن الكثير من الإعلانات خلال هذه الفترة تستهدف مباشرة مَن هم أكثر عرضة للخطر أي الأطفال، والأشياء التي يتم الإعلان عنها هي عادة الأشياء ذاتها التي علينا تجنبها عادةً. كل أسرة هي حالة فريدة من نوعها، وهذا ينبغي أخذه بالاعتبار عندما نحاول تنفيذ المقترحات التي نود تقديمها.

مَن لديهم أطفال في المنزل، غالبًا ما يجدون الصوم الفعلي عن الأطعمة صعبًا خلال هذه الفترة، التي يبدو أن الكثير من الأطعمة الغنية المغرية وبالتأكيد غير الصيامية تُدفَع إلينا. في كثير من الأحيان من المُساعد أن يكون هناك أطعمة صيامية خاصة تحبها الأسرة وتقدمها فقط في فترات الصيام. طبعًا، نحن لا نريد أن نركّز فقط على الجوانب المطبخية من الصيام في هذا المقال؛ نحن نفترض أن جميع القرّاء ملتزمون بالفعل بهذا الجانب من الصيام، لأنه ليس اختياريًا.

إن الامتناع فقط عن أطعمة معينة ليس بالتأكيد من ضمن استعداداتنا للميلاد. يشمل الصوم تجنّب الترفيه، وهو شيء يزخر به هذا الموسم. من الممكن تقريبًا في كل الظروف تفادي حفلات المكاتب والجلسات الأخرى، بتصريحنا بصدق أننا نحن **المسيحيين الأرثوذكس** لا نبدأ بالاحتفال حتى يصل العيد. إن لم يكن ممكنًا أبدًا تلافي حضور مثل هذه الأمور، فمن الممكن دائمًا إيجاد أطعمة نتناولها من دون كسر الصوم، أو الاعتذار مسبَقًا في وقت مُبكِّر.

بالتأكيد ينبغي أن نكثّف قراءتنا وصلواتنا في هذه الفترة التي يقع فيها عدد من أعياد القديسين العظماء: **القديس يوحنا الدمشقي والقديسة بربارة** في ٤ كانون الأول، **القديس سابا** في ٥ كانون الأول، **القديس نيقولاوس** في ٦ كانون الأول، **والقديس اسبيريدون** في ١٢ كانون الأول، **والقديس هيرمان** في ١٣ كانون الأول، **القديس اغناطيوس الأنطاكي** في ٢٠ كانون الأول، وهذا غيض من فيض. جيد أن نقرأ سِيَرَهُمْ ونصلّي حقاً لهم. أيضًا، في وقت هذا الصوم هناك عدد غير قليل من أنبياء العهد القديم الذين نذكرهم في هذه الفترة فنقرأ نبوءاتهم. كاطافاسيات عيد الميلاد تبدأ في ٢١ تشرين الثاني، سواء كانت مرتّلَة أم لا، الحصول على الكلمات والموسيقى من الكاهن امرٌ جيّد بحيث نقوم بتعلّمها وترتيلها خلال النهار، عندما نكون لوحدنا أو مع أسرتنا. أنها جميلة جدًا وترفع المعنويات.

العديد من الرعايا تقدّم الخلوات أو الندوة في هذه الفترة. إذا كانت رعيتك لا تقيم شيئًا من هذا القبيل، فقد يكون في إحدى الرعايا القريبة! في حال ليس هناك خلوات ولا ندوات، أو حتى لو وُجِدَت، فمن الأفكار الجيدة أن يشكّل عدة أشخاص مثلك، ممَن يريدون إعادة توجيه أولوياتهم خلال فترة الصوم مجموعة قراءة. إن المشاركة

تجعلنا نقرأ ونصلّي أكثر!

ما يسمّى بـ «خاصّ بعيد الميلاد» على شاشة التلفزيون وفي سيل الإعلانات التجارية التي توجّهنا نحو الأشياء التي يجب أن نشتريها لكي يكون كُلٌّ منّا أُمًّا أو أبًا أو أخًا أو قريبًا أو صديقًا صالحًا، وما إلى ذلك، **هي سببٌ كافٍ للجميع للتخلّي عن التلفزيون!** يبدو أنّ الخاصّ بعيد الميلاد هو في التشديد على أن «المعنى الحقيقي لعيد الميلاد» ينطوي على أن يكون الإنسان مُحبًّا مُهتمًا مُعطيًا وما إلى ذلك مما يرِد بين الإعلانات التي تغرينا وتحثّنا على الطمع، لكنها لا تذكر شيئًا عن حقيقة أن الله قد تجسّد في محبته للبشرية ليعيد إلينا الصورة المفقودة!

الآن نأتي إلى الجانب الأكثر وضوحًا **للاحتفال الدهري بعيد الميلاد وهو الهدايا**. فلتكن الهدايا على الحد الأدنى الممكن. بالتأكيد، الجميع يقولون في وقت ما: «**السنة المقبلة**» ستكون مختلفة وأكثر بساطة. لكن ابدؤوا الآن. هناك الكثير من الطرق للقيام بذلك، ومرة أخرى، يختلف الأمر من حالة إلى أخرى. معظم الناس يحبّون أن تقدّم باسمائهم الهدايا أو الهبات للجمعيات الخيرية. داخل الأُسَرِ، قد يكون هناك صعوبة في الحدِّ من موجة تبادل الهدايا عندما يتقرَّر ذلك.

فوق كل شيء، في الخامس والعشرين من كانون الأول، نسمع أُناسا من غير الأرثوذكسيين يقولون: «حسنًا، كان ذلك الميلاد لطيفًا، ولكننا سعداء لانه انتهى.» بالنسبة لنا، إذ صُمنا متوقعين ولادة الرب أربعين يومًا، نحن في بداية الاحتفال، أمامنا التراتيل وإراحة أجسادنا المرهَقة بالأطعمة الغنية.

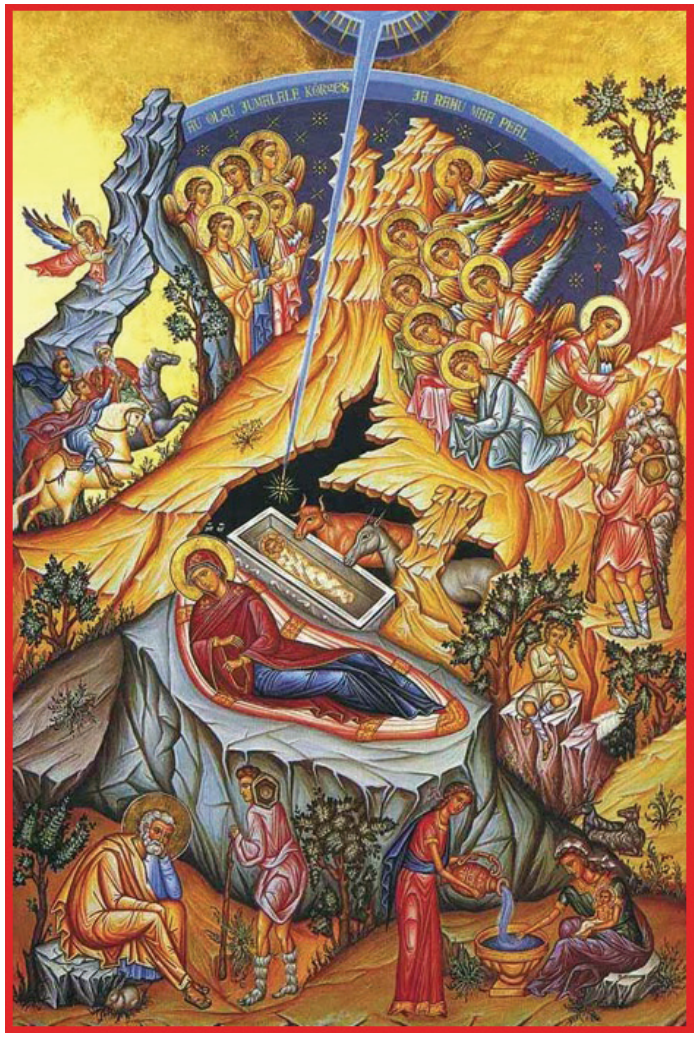

بدلًا من أن نكون متعبين ومُتلَفين مردِّدين مشاعر من هم خارج الإيمان الذين يسعدون لرؤية هذه الأيام المقدسة تأتي إلى نهايتها،

قوة الصلاة والصوم

القديس نيكولا فيليميروفيتش

نقلته إلى العربية وعد مخول

«هذَا الْجِنْسُ لاَ يُمْكِنُ أَنْ يَخْرُجَ بِشَيْءٍ إِلاَّ بِالصَّلاَةِ وَالصَّوْمِ» (مرقس ٩:٢٩).

هذه هي الوصفة الطبية المنقذة لأعظم طبيب للنفوس البشرية. هذا هو العلاج المجرَّب والمثبت. ما من علاج آخر للجنون. أيّ نوع من المرض هو؟ **إنه حضور وهيمنة الروح الشرير في الإنسان،** روح شرير خطر يجاهد لتحطيم جسد وروح ذلك الإنسان في النهاية. الصبي الذي حرّره إلهنا من الروح الشرير، ألقاه هذا الروح الشرير مرة في النار، ومرة في الماء من أجل تدميره.

طالما أن الإنسان يكتفي بالفلسفة عن الله يبقى ضعيفًا وعاجزًا تمامًا أمام الروح الشرير الذي يهزأ من سفسطائية العالم الضعيفة. لكن، ما أن يبدأ الإنسان بالصوم والصلاة، يمتلئ الروح الشرير بخوف لا يوصف، فلن تستطيع الروح الشريرة أن تتحمل رائحة الصوم والصلاة بأي شكل. إن عطر هذه الرائحة الحلوة يخنقها ويضعفها لتجهد تمامًا. إن في داخل الإنسان الذي يتفلسف عن الإيمان وحَسبْ مكان واسع للشياطين. لكن مع الذي يبدأ الصلاة والصوم بصدق وصبر ورجاء، يصبح الشيطان ضعيفًا ومُحاصرًا وعليه الهرب من مثل هذا الانسان. بعض الأمراض الجسدية ليس لها إلَّا دواء واحد. ضد **مرض الروح العظيم هذا، وهو الشيطانية،** هناك نوعان من العلاج، اللذان يجب أن يُستخدما معًا وفي نفس الوقت: **الصوم والصلاة**. الرسل والقديسون صاموا وصلوا الى الله. هذا هو السبب الذي جعلهم أقوياء لمواجهة الروح الشريرة.

يا يسوع المنعِم، الطبيب والمساعد في كل المآسي، ثبتنا بقوة روحك القدوس لنكون قادرين على الالتزام بتعاليمك عن الصوم والصلاة من أجل خلاصنا وخلاص قريبنا، أمين.

الراعي طبيب مُعالج

للقديس يوحنا السُّلَّمِي

الراعي الحقيقي هو الذي يستطيع بمحبته وهِمَّته وصلاته أن يجري وراء الأغنام الناطقة التي ضلّت ويعيدها إلى الطريق القويم.

الرّبان هو من اقتنى بنعمة الله وجهاده الذاتي قوة روحية ينقذ بها السفينة ليس فقط من هياج الأمواج بل من عمق اللجّة.

الطبيب هو الذي امتلك صحة النفس والجسد ولا يُعوزه بعد أيُّ دواء لهما.

المعلم الحقيقي هو من يحمل في ذاته كتاب المعرفة الروحي المكتوب بإصبع الله أي بالاستنارة الآتية منه تعالى، ولا يعود يحتاج إلى كتاب آخر.

كما أنه عارٌ على الرسَّامين أن يقتصر فَنُّهم على نسخ الرسوم القديمة، كذلك عار على الرعاة أن يقلّدوا غيرهم في تعليمهم.

يا من تُهذّبُ من هم دونك، علّمهم ما هو من فوق حين تكون أنت قد تهذّبت من فوق. ولتعلّمك رتبتك المنظورة ما هو غير المنظور.

لا تنسَ قول من قال: «لم أتسلّم انجيلي ولا تعلّمتُهُ من إنسان» (غلا ١)، لأنه يتعذر على اللاصقين بالأرض أن يداووا الآخرين.

الرّبان الصالح ينقذ مركبه، والراعي الصالح يُنعش أغنامه العليلة ويشفيها، وبقدر ما تتبع الأغنام راعيها بأمانة وتسير وراءه قُدُمًا بهذا المقدار يُجيب عنها أمام رب البيت.

فليَرْمِ الراعي بحجارة أقواله الأغنام التي تتخلّف عن القطيع عن توانٍ أو شراهة. فهذه علامة أيضًا الراعي الصالح.

إذا ما بدأت الأغنام تسترخي بسبب حرارة الشمس أو بالحري حرارة الجسد، شَخَصَ الراعي بِبَصَرِهِ إلى السماء وازداد سهرًا عليها، إذ غالبًا ما يؤخذ الكثير منها فريسةً للذئاب في أوقات الحرِّ الشديد هذه. ولكن إذا ما حنت رأسها إلى الأرض كما تفعل الخراف عادة في أوقات الحرّ فسوف نشهد تحقيق قول المرنم: «القلب المتخشع المتواضع لا يرذله الله» (مز ٥٠)

إذا ما داهم القطيع ليلُ الأهواء وظلامها فَلْيَقِفِ الكلب بلا حراك مُتجهًا نحو الله، فاعلم (يا حضرة الراعي) أن الكلب هو ذهنك الذي عليه يترتّب أن يهزم الوحوش.

تزوَّد أنت أيضًا أيها الأب الموقر بلزقات، وجرعات دواء، ومشارط، ومساحيق، وقطرات (للعينين)، وأسفنجات، ومفاصد (أدوات لنزيف الدماء) ومكاوٍ، ومراهم، ومُنومات، ومباضع، وضمّادات، وسكين ورباطات، ووصفات، مضادة لغثيان النفس.

إن لم نستعمل هذه الأشياء كيف نستطيع أن نمارس عملنا؟

سيتعذر علينا ذلك إذ أن الأطباء يتقاضون أجرًا لا على أقوال بل على أفعال.

فاللزقة (الضمادة) هي علاج الأهواء الخارجية التي هي أهواء الجسد.

والشَربة (جرعة الدواء) هي لمعالجة الأهواء الداخلية باستخراج الأوساخ غير المنظورة.

أما المِشْرَطُ فهو الإذلال الذي يكوي وينظّف تقيح الكبرياء والإعجاب بالذات،

وقطرة العينين هي لأجل تطهير عين النفس المتعكرة والمظلمة بالغضب. إنها توبيخ حادٌ من شأنه أن يشفي سريعًا.

أما المفصد فهو استخراج عاجل لنتانةٍ غير منظورة، انه تدخّل حازم وحاسم لإنقاذ المريض.

والأسفنجة هي العناية والتعزية اللتان يحيط بهما الطبيب مريضه بعد الفصد أو العملية الجراحية بالأقوال المُشجعة العطوفة واللطيفة.

والمكواة هي قانون تأديب تفرضه لوقت محدَّد من أجل توبته.

والمرهم هو العزاء الذي يُقدَّم للمريض بعد الكيّ بأقوال مناسبة أو بتسكين خفيف لوجعه.

المُنَوِّم هو أن نحمل حِملَ التلميذ عنه، ونؤمّن له بواسطة طاعته الراحة والنوم اليقظ والعمى المغبوط الذي يجعله لا يرى الصلاح الذي فيه.

والرباطات هي اعتماد الصبر لإعادة تثبيت وتشديد الذين توانوا واسترخوا بدافع المجد الباطل.

وأخيرًا المِبْضَعُ أو السكين، الذي هو الحسم والعزم على قطع جسمٍ قد ماتت النفس فيه، وبتر عضوٍ فاسد قد ينقل فساده لسائر الأعضاء.

طوبى للأطباء الذين لا يتعرضون لغثيان النفس وللرؤساء (الرعاة) الذين انعتقوا من الأهواء، لأن الأولين إذ لا يشمئزون من شيء يستطيعون تأمين العناية اللازمة للمريض رغم نتانته الشديدة، والآخرين (الرعاة) قادرون على بعث النفوس المائتة.

على الطبيب (الراعي) أن يكون مُجردًا من الأهواء كليًا لكي يستطيع في بعض المناسبات أن يتصنعها، وخاصة الغضب، لأنه ان لم يكن قد تحرَّر منها كليًا فلا يقدر أن يتظاهر بها دون أن ينفعل.

يعرف الطبيب أن الله قد وهبه الحكمة حين يتمكن من شفاء أمراض مستعصية على كثيرين غيره.

رأيت أطباء (روحيين) لا يَعمَدُون إلى تنبيه مرضاهم إلى الخطر فكانوا بذلك يجلبون على المرضى وعلى أنفسهم كثيرًا من العناء والعذاب ... أحزِن المريض إلى حين لئلا يصبح داؤه مزمنًا، أو يموت بسبب صمتك الكريه. فإن صمت الربان جعل الكثيرين يظنون أنهم يُبحرون حسنًا إلى أن يصطدموا بصخور البحر.

المحبة هي التي تُظهر الراعي الحقيقي، لأن الراعي العظيم بدافع المحبة شاء أن **يُصلب**.

المرجع: «رسالة إلى الراعي» للقديس يوحنا الدرجي ... كتاب «السلم إلى الله» تعريب مارجرجس الحرف.

لباس الحشمة

القديس يوحنا الذهبي الفم

«وَكَذلِكَ أَنَّ النِّسَاءَ يُزَيِّنَّ ذَوَاتِهِنَّ بِلِبَاسِ الْحِشْمَةِ، مَعَ وَرَعٍ وَتَعَقُّلٍ، لاَ بِضَفَائِرَ أَوْ ذَهَبٍ أَوْ لآلِئَ أَوْ مَلاَبِسَ كَثِيرَةِ الثَّمَنِ، بَلْ كَمَا يَلِيقُ بِنِسَاءٍ مُتَعَاهِدَاتٍ بِتَقْوَى اللهِ بِأَعْمَالٍ صَالِحَةٍ. » (١تيمو٢: ٩)

ما هذا؟!

أتقتربين من الله للصلاة بالضفائر والحليّ؟

هل أنت ذاهبة لحفلة رقص؟

هل أنت ذاهبة إلى عرس أو عيد عالمي حيث مكان الحلي والضفائر والثياب الفاخرة؟

هنا ليس لها احتياج.

أنت أتيتِ لتصلي، أتيتِ لتتوسلي من أجل مغفرة خطاياك، لتلتمسي الرحمة من أجل ذنوبك، لكي تتضرعي للرب وتستعطفيه بصلواتك.

لماذا إذًا تزينين نفسك؟ ليس هذا هو المظهر الذي يليق بالتوَسُّل، كيف تتنهدين؟ كيف تبكين؟ كيف تصلين بحرارة وأنت مُحملة بالحليّ؟ إذا بكيت، دموعك سوف تكون مصدر سخرية للذين يشاهدونك، لأن التحلي بالذهب لا يتفق مع اللائي يبكين، ألا يكون هذا تمثيلًا ورياءً. أليس هذا تمثيلاً أن تتدفق الدموع من قلب يسكنه **حب الترف والزهوّ؟**

إطرحي بعيدًا عنكِ هذا الرياء! الله لا يُسخَر منه! هذه الثياب تخص الممثلين والراقصين، الذين يعيشون على خشبة المسرح، كل هذه الأمور لا تناسب إمرأة مُحتشمة، بل يليق بها التزين بالورع والتعقل.

لا تقلدي إذًا المحظيات، فهن بهذا الثوب يغرين عشاقهن، ومن ثم كثيرات جلبن على أنفسهن شكوكًا شائنة، وبدلًا من كسب أي فائدة من زينتهن تَسبَّبنَ في ضَرَرِ الكثيرين بسلوكهن. لأنه كما أن الزانية إذا كان مظهرها محتشمًا لا تنتفع بشيء يوم الدينونة عندما يستعلن كل ما تمَّ فعله في الخفاء، كذلك أيضًا المرأة الشريفة إذا كانت بهذا الثوب تقتدي بالزانية، سوف تفقد فائدة عفتها، لأن كثيرين تضرروا من هذا السلوك. قد تقولين: «وماذا أفعل أنا ... إذا كان شخص آخر ينظر لي هكذا؟»، لكنك أنت التي تعطينه الفرصة من خلال ثوبك ونظراتك وإيمائاتك.

لهذا السبب، يهتم بولس بتوجيه النظر للورع وحشمة الملبس. وإذا كان ينبِّه على تلك الأشياء التي تدل فقط على الثراء مثل الذهب واللآلئ والملابس كثيرة الثمن، فكم بالحري يكون التنبيه على الزينة المتعمدة كالمساحيق، تلوين العيون، المشية المتخاطرة، الصوت المتصنع، النظرة الواهنة الخليعة، العناية المفرطة في ارتداء الصدرة والمعطف، الأحزمة المطرزة بدقة، الأحذية الأنيقة؟ إذ أنه قد ضم كل

هذه الأشياء بكلامه عن «لباس الحشمة» و«الورع والتعقل»، لأن كل هذه تدل على **عدم اللياقة وعدم الحشمة.**

أرجو أن تحتملن هذا الحديث، لأني بهذا التوبيخ غرضي ليس جرحكن أو التسبب في الألم لَكُنَّ، بل لكي أزيل من قطيعي (شعبي) كل تصرف غير لائق.

وإذا كانت هذه الممنوعات موجهه للنساء المتزوجات الثريات، اللائي يعشن في الرفاهية، فكم بالحري بالنسبة للآئي كرسن حياتهن للبتولية. لكن قد تقولون: أي بتول تتزين بالحلي وضفر الشعر؟ إلَّا أنه قد تكون هناك عناية زائدة حتى مع الثوب البسيط، بحيث تكون الزينة لا تساوي شيئًا بجانبه. قد تكون العناية بالمظهر عند التي تلبس ملابس عادية أكثر من تلك التي تلبس بالذهب. لأنه عندما ينسحب رداء غامق اللون بشكل وثيق حول الصدر بالحزام – كما تلبس الراقصات على المسرح – باتقانٍ شديد بحيث لا ينبسط باتِّساع أو ينكمش بضآلة، وعندما يبرز الجسم من جراء كثرة اللفات، ألا يكون هذا الرداء أكثر إغراءً من أي رداء حريري؟!

لِنَخَفْ أيُّها الأحباء، لئلا نسمع نحن أيضًا كلام **النبي أشعياء** الذي وجهه **للعبرانيات**، اللاتي كن مفرطات في العناية بزينتهن الخارجية: «مِنْ أَجْلِ أَنَّ بَنَاتِ صِهْيَوْنَ يَتَشَامَخْنَ، وَيَمْشِينَ مَمْدُودَاتِ الأَعْنَاقِ،... فَيَكُونُ عِوَضَ الطِّيبِ عُفُونَةٌ، وَعِوَضَ الْمِنْطَقَةِ حَبْلٌ، وَعِوَضَ الْجَدَائِلِ قَرْعَةٌ» (اش ٣: ١٦-٢٦).

كل هذه الزينات وأخرى كثيرة، التي تم ابتكارها فقط للعرض وجذب المشاهدين تعتبر أكثر إغراءً من الحلي الذهبية. هذه الأخطاء ليست تافهة، بل تُغضب الله، وكافية لإفساد جهاد إنكار الذات الذي للبتولية.

عريسك هو **المسيح**، أيتها العذراء، لماذا تسعين وراء جذب عُشاقٍ من بين الرجال؟ سوف يدينك كزانية. لماذا لا تريدين الزينة التي ترضيه: الحشمة، العفة، اللياقة، واللباس المتزن؟ هذه بهرجة زائفة وشائنة. لم نعد نستطيع التمييز بين بائعات الهوى والمتبتلات، إلى هذا الحدِّ من عدم اللياقة وصلن. يجب أن يكون لباس العذراء بسيطًا غير مُنَمَّقٍ وبلا جهد، لكنهُنَّ قد ابتكرن الآن حِيَلًا كثيرة لجعل اثوابهنَّ ملفتةً للنظر.

أيتها المرأة أُتركي هذا الجنون، حوِّلي هذه العناية لزينة نفسك الداخلية. لأن هذه **الزينة الخارجية** التي تشغلك تتعارض مع الزينة الداخلية. لأن الذي يعتني بالخارج يُهمل الداخل، والذي يُهمل الخارج يركز كل عنايته في تزيين الداخل.

Reference: NPNF, Volume 13, Saint John Chrysostom, Homilies on Timothy

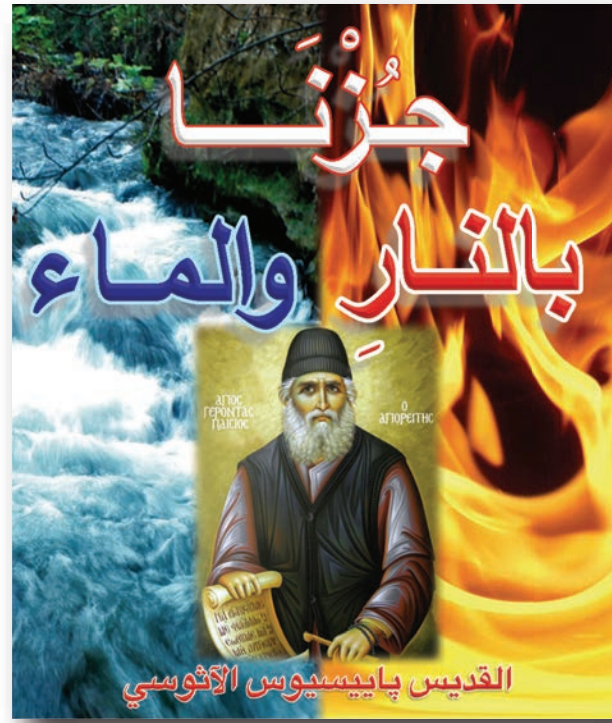

الباب السادس

الحياة بعد الموت

✝ الدَّيْنُونَةُ الآتِيَةُ ✝

✝ ياروندا، كيفَ تَتَطَهَّرُ النفس؟

✝ عندما يُطَبِّقُ الإنسانُ وصايا الله، ويَعملُ للتطهُّر من أهوائه، عندها يستنيرُ الذهنُ ويكتسبُ رؤيا روحيّةً، فتصير النفسُ لامعةً كما كانت قبل سقوط الإنسان. هذا الوضعُ الذي سيكونُ عليه بعد قيامة الأموات. لكن يمكن للإنسانِ أن يُعاين قيامة نفسه قبلَ القيامة العامة، فقط إذا تطهَّرَ بالكامل من الأهواء. عندئذٍ سيُصبحُ جسده ملائكيًّا، غير فاسدٍ، ولَن يهتمَّ بالغذاء الماديّ.

✝ ياروندا، كيفَ ستَحصَلُ الدينونةُ الأخيرةُ؟

✝ في الدينونة، ستنكَشِفُ حالةُ كُلِّ إنسانٍ في لحظةٍ واحدةٍ، وسَينسحبُ من تلقاء ذاتِهِ إلى الموضع الذي يَخصُّه. سَيُمَيِّزُ الإنسانُ، كما في تلفازٍ، بؤسَه وشَقاءه، والوضع الروحيّ للآخرين. «يقول القديس يوحنا الدمشقي: «يجب ألَّا يظنّ أحدٌ أنَّ الإنسان لن يميّز غيره يوم الدينونة الرهيب. نعم، سيتعرّف كلُّ إنسانٍ على قريبه، ليس بواسطة شكلِ الجسد، بل برؤيا عينِ النفسِ»» وسيعكس حالته على غيره، فيحني رأسه ويذهبُ إلى الموضع المخصَّص له. فعلى سبيل المثال، لن تَقْدرَ الكَنَّةُ، التي جَلست مرتاحة واضعةً رِجلًا فوق الأخرى، بينما تعتني حَماتُها، ورِجلُها مكسورةٌ، بحفيدِها، أن تقولَ: «يا مسيحي، لماذا تضع حَماتي في الفردوس بدوني؟» لأنَّ هذا المشهد سيظهرُ أمامها ليُدينَها. وستَتذكَّرُ حماتَها واقفةً بِرِجلِها المكسورةِ لتَعتَني بحفيدِها، فتشعُرُ بالخجلِ من الذهابِ إلى الفردوسِ، حيثُ لا مكان لها هُناك بأيةِ حال.

ولنَضربْ مثلًا آخر: سيرى الرهبانُ أيَّةَ صعوباتٍ وتجاربَ عاشها الناسُ في العالم وكيف واجهوها، وكيفَ قَضوا هُمْ حياتهم بطريقةٍ لا تليقُ بهم كرهبان، فيَحنون رؤوسَهم وينسحبون لوحدِهم إلى المكان الذي حُدِّدَ لَهُم. وستُشاهد الراهباتِ الأُمهاتِ البطَلاتِ اللواتي لَمْ يَقطعْنَ نُذورًا، ولم يتمتَّعنَ بالبَركاتِ والفُرَصِ التي كانت لديهنّ، كراهباتٍ. وسيُدرِكْنَ كيفَ جاهَدت تلك الأُمهاتُ، والعلوّ الروحيّ الذي وَصلْنَ إليه، فيخجلْنَ كراهباتٍ بسبب انشغالِهن بأُمورٍ تافهةٍ! هذه هي فكرتي عن الطريقة التي ستصيرُ بها الدينونة الأخيرةُ. فالمسيحُ لن يقول: «تعالَ أنتَ إلى هُنا، ماذا فعلت؟» أو ، «إذهب أنتَ إلى الجحيمِ، وأنتَ إلى الفردوس». لكن، سيُقارنُ كُلُّ شخصٍ نفسَه مع الآخرين فيذهب إلى الموضع المخصّص له.

✝ الحياةُ الثانيةَ ✝

✝ ياروندا، لقد أحضرتُ لك بعض الحلويات لتُقدِّمها إلى ضيوفك.

✝ انظري كَمْ يَفرحون بها! لكنَّنا سنقُول لذواتنا في الحياة الأُخرى، «بأيةِ أُمورٍ تافهةٍ كُنَّا نَفرحُ! وأيَّةُ أشياءَ أَلهَمتنا!» ، بينما يرتَكض قلبُنا بمثل هذه الأمور الآن.

✝ ياروندا، كيف نفهم ذلك في الوقت المناسب ؟

✝ إذا فَهمتِ هذا الأمرَ منذ الآن، فلن تَقولي ذلك في الحياة الأُخرى. على كُلِّ حالٍ، جميع الذين سيكونون هناك سيبتهجون. أَلَديكِ أيَّةُ فِكرةٍ عنِ العملِ الذي يقومون به هناك في السَّماوات؟ إنَّهم يُمجِّدون الله باستمرار.

✝ ياروندا، لماذا يُقال لجسد الميِّت «رُفات» ؟

✝ لأنَّه كُلُّ ما تبقَّى من الشخص البَشريِّ هنا على الأرضِ بعد الموت، بينما تذهبُ النفسُ، وهي المُكوِّن الأساسيُّ للشخص البشريّ، إلى الفردوس. في الدينونة الآتيةِ، سيُقيم الله الجسد أيضًا، لكي يُدانَ به كُلُّ إنسانٍ، لأنّه عَاشَ وأخطأ بهذا الجسد. في الحياة الأُخرى، سيكون للجميع الجسد نفسُه، جسد روحانيّ. فالطويلُ والقصيرُ سيكونُ لهما القامة نفسُها، الشابُّ والمُسِنُّ والطفلُ سيكونُ لهم العمر ذاتُه، لأنَّ النفس هي ذاتها. بمعنى آخر سيكون للجميع عُمرٌ مَلائكيٌّ واحد.

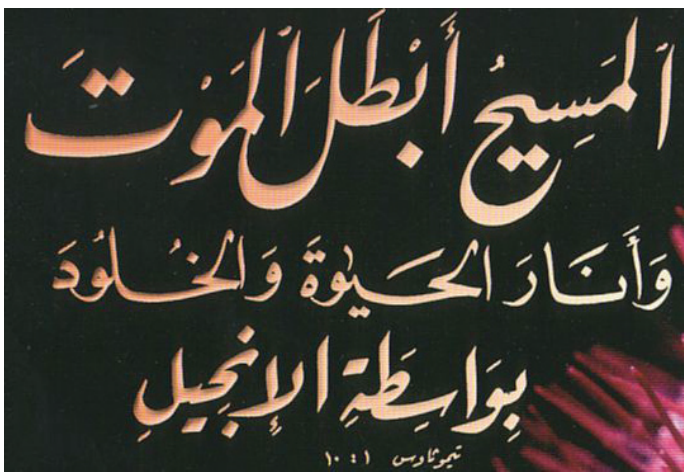

سيرة القديس نكتاريوس العجائبي

✝ الفصل الثامن ✝.

فقال نكتاريوس:

– «سوفَ يعدمه الناس لأن لهم قوانينهم. لكن أرجو ألَّا يتخلَّى الله عنه يا ابنتي. فان تخلَّى الله عنه، فسيتولَّى إبليس إعدامه من جديد. وعندها يمكنكِ أن تستسلمي للدموع، وستكونين على حقٍّ إذا تألّمتِ. ولكن لا، لن يسمح الربّ بذلك ... سوفَ اهتمّ بالأمر. أما بالنسبة إليكنَّ أيتها الفتيات، فهل والدتكن على قيد الحياة؟

– نعم

– حسنًا. سأكون معكن ومع والدتكن على الدوام. وسأحاول منذ اليوم أن أجِد لكن عملًا.

– كيف، كيف يا أبتِ، ماذا ستفعل والجميع هنا ينبذوننا لأننا بنات قاتل!

– سأرسلكن إلى مصر ... سأهتم بهذا الأمر وبدءًا من اليوم سأقوم مقام والدكن، فالرب المُحسِن للجميع لا يترك أحدًا يغرق في اليأس».

وهذه المرّة أيضًا أخذ نكتاريوس كل الأمور على عاتقه. فكتب رسائل عدّة، وتَدَبر أمر سفر الأم وبناتها. واسكنهن عند عائلات مصرية عريقة، بواسطة السيدة النبيلة جينا ديموستين خوريميس، ابنة أخ المُحسِن الذي طالما ساعده في الماضي.

إلَّا أنه في هذه الأثناء حدث اضطرابٌ كبير في رعية نكتاريوس الصغيرة وشعب إيبوس.

فقد وصل من وزارة الأديان قرار يقضي بنقله إلى اسبارطة للعمل فيها كواعظ. فأحسَّ للحظة بالتعاسة لاضطراره ترك هذه الغابات الظليلة، والشطآن والأنهار دون عودة. لكن أهذه إرادة الله؟ فانه يجب أن تمرّ فوق كل شيء وقبل كل شيء؛ لا مانع إذًا من أن يُرسَلْ إلى

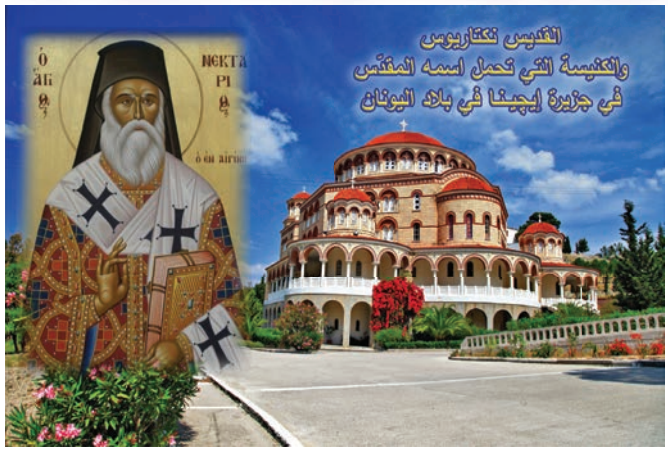

أي مكان : إلى الجبال إلى الريف، إلى منطقة خصبة أو فقيرة ... سَيُحَضِّر حقائبه دون أي فكرة مُسبَقة. لا يهمّه سوى أن تكون تلك المنطقة مأهولة من قِبَل مسيحيين أرثوذكسيين.

كان ذلك في نهاية شهر شباط من العام ١٨٩٢ ، وكان قد أمضَى حوالي السنة في ايبوس. وفي الأحد التالي، ومن على منبر الكاتدرائية، قام بتوديع الشعب. وقد اضطرب الجميع، وتأثروا جدًّا.

إلَّا أنَّ القرار أُلغِيَ بعد خمسة عشر يومًا، حين كان يتحضَّر ويرتِّب مخطوطاته وكتبه: إذ كان الشعب كله قد احتج. فنزلت الوزارة عند طلب الجماهير، وأصدرت قرارًا جديدًا بإلغاء أمر النقل.

وصار نكتاريوس في نزهاته على أرض ايبوس، عندما يتسلّق جبالها وصولًا إلى المغاور، أو ينزل إلى الساحل، يعاين على وجوه الذين يلتقيهم نظرات ملؤها الامتنان والوفاء. وكان الرعاة والصيادون وعمَّال المرفأ والمسنّون المحدّبون ... كانوا يرفعون قبعاتهم عندما يرونه ويقفون باحترامٍ كبير. فيتمتم لهم:

– « يا اخوتي، يا ابنائي ... يا ابنائي المباركين من الرب ...»

فتشوا الكتب

نقرأ في إنجيل يوحنا، قول الرب لليهود: «فتشوا الكتب لأنكم تظنون أن لكم فيها حياة أبدية، وهي التي تشهد لي. ولا تريدون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة» (يو ٥: ٣٩ و٤٠). ولا نكاد نصل إلى عبارة «لأنكم تظنون»، حتى نحس أن هناك شيئًا غريبًا في هذه العبارة، ولكن يصبح المعنى واضحًا إذا علمنا أن: فعل الأمر فتشوا في أول الآية، ليس أمرًا بل فعلًا خبريًا، أي إنكم تفتشون الكتب. وقد جاءت هذه الآية في كتاب الحياة (ترجمة تفسيرية): «أنتم تدرسون الكتب لأنكم تعتقدون أنها ستهديكم إلى الحياة الأبدية. هذه الكتب تشهد لي. ولكنكم ترفضون أن تأتوا إليَّ لتكون لكم حياة». كما جاءت في ترجمة بيروت الكاثوليكية: «أنتم تبحثون في الكتب لأنكم تحسبون أن لكم فيها الحياة الأبدية، فهي التي تشهد لي، وأنتم لا تريدون أن تقبلوا إليَّ لتكون لكم الحياة».

(٧٥) الأرثوذكسية

قانون إيمان لكل العصور

الرسل الأطهار

قاعدة الأيمان

وبكنيسة واحدة جامعة مُقَدَّسة رسولية (تتمة)

شعب الله:

أنَّ الله الذي عاش في القديم مع شعبه في خيمة، نَصَبَ خيمته في العهد الجديد في شخص. هذا هو المعنى الحرفي للكلمة اليونانية «اسكينوز» أي حَلَّ بيننا، والنصّ يقول: «الْكَلِمَةُ صَارَ جَسَدًا وَحَلَّ بَيْنَنَا، وَرَأَيْنَا مَجْدَهُ، مَجْدًا كَمَا لِوَحِيدٍ مِنَ الآبِ، مَمْلُوءًا نِعْمَةً وَحَقًّا.» (يو ١:١٤). وكما يقول **ر. ل. بروكبرجر**: «إنَّ الله قد ارتَحلَ من هيكل أورشليم إلى طبيعة يسوع البشريّة كما انتقل قديمًا من الخيمة إلى هيكل سليمان».

ويسوع هذا بنفسه أتى بدوره ليُنصِّب ويُقيم خيمته فينا وبيننا من خلال سِرّ التناول العظيم: «مَنْ يَأْكُلْ جَسَدِي وَيَشْرَبْ دَمِي يَثْبُتْ فِيَّ وَأَنَا فِيهِ.» (يو ٦:٥٦). ومن خلال سِرّ التثبيت (المسحة او الميرون) نحن نقبَل الله الروح القُدُس في داخلنا، هذا الذي جعل القديس بولس يقول: «أَمَا تَعْلَمُونَ أَنَّكُمْ هَيْكَلُ اللهِ، وَرُوحُ اللهِ يَسْكُنُ فِيكُمْ؟» (١كو ٣:١٦).

فالكنيسة ليست إذًا مجرَّد بناء، إنّها أيضًا الشعب الذي يسكن الله بينه. إنَّ الكنيسة ليست مجرَّد بيت الله، ولكنها أكثر من هذا، إنّها بيت شعب الله. الشعب هو الكنيسة. لم تكُن توجَد أبنية للكنائس في القرون الثلاثة الأولى للمسيحيّة بسبب الاضطهادات، وكان المسيحيُّون يعبدون المسيح بالسراديب، ومع ذلك فقد كانت الكنيسة موجودة وَنَشِطة، وكانت تنمو بالرغم من عدم وجود مبانٍ للكنائس، لأن الكنيسة هي شعب الله. كذلك أتت فترة كان المسيحيُّون الأوائل فيها يعبدون المسيح في منازلهم الخاصَّة، فالكنيسة لا تُحَدّ ببناء خاص. إن نُقِضَ مبنَى كنيستك، فهذا لا يعني أنَّ كنيستك توقَّفَت عن أن تكون موجودة، فأنتم المسيحيّون المُعتمدون هم الكنيسة، لأنكم تقدرون أن تعبدوا في منازلكم، أو في أي قاعة أو أن تُشيدوا مبنى آخر. فبالأساس الكنيسة ليست مبنى، إنّما الشعب الذي يستجيب لدعوة الله ويجتمع كل يوم أحد باسمه.

اختار الله في العهد القديم اليهود ليكونوا شعبه. إنَّهم شَكَّلوا جماعة جديدة حتى يمكن من خلالها أن يُخَلِّص العالم. الله أعلَنَ شخصه لهم حتى يُعلنوه بدورهم إلى الأمم الأخرى، وعندما رفَضَ إسرائيل القديم أن يؤمن بيسوع أنَّهُ المسيّا الموعود به، فإنَّ الله دعا الكنيسة «**إسرائيل الجديد**»، الشعب الجديد المختار، الجماعة المُخلِصة الجديدة التي صار من واجبها أن تنشر: «الأنباء السَّارة» المُختصة بما فعله الله في المسيح لكل الناس الذين على وجه البسيطة. إننا نحن هذا الشعب، وبالتالي صِرنا الكنيسة، خيم حضور الله الخلاصي في العالم: «وَأَمَّا أَنْتُمْ فَجِنْسٌ مُخْتَارٌ، وَكَهَنُوتٌ مُلُوكِيٌّ، أُمَّةٌ مُقَدَّسَةٌ، شَعْبُ اقْتِنَاءٍ، لِكَيْ تُخْبِرُوا بِفَضَائِلِ الَّذِي دَعَاكُمْ مِنَ الظُّلْمَةِ إِلَى نُورِهِ الْعَجِيبِ.» (١بط ٢:٩). إنَّ الكائنات البشريّة وليست الحجارة ولا الملاط هي رمز حضور الله في العالم. إنَّ الله اختار الإنسان نفسه ليكون هيكلًا خاصًا له.

ولكن ماذا تعني عبارة شعب الله؟ أنصِت إلى ما يقوله القديس بولس: «فَالْبَسُوا كَمُخْتَارِي اللهِ الْقِدِّيسِينَ الْمَحْبُوبِينَ أَحْشَاءَ رَأْفَاتٍ، وَلُطْفًا، وَتَوَاضُعًا، وَوَدَاعَةً، وَطُولَ أَنَاةٍ، مُحْتَمِلِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا، وَمُسَامِحِينَ بَعْضُكُمْ بَعْضًا إِنْ كَانَ لأَحَدٍ عَلَى أَحَدٍ شَكْوَى. كَمَا غَفَرَ لَكُمُ الْمَسِيحُ هكَذَا أَنْتُمْ أَيْضًا. وَعَلَى جَمِيعِ هذِهِ الْبَسُوا الْمَحَبَّةَ الَّتِي هِيَ رِبَاطُ الْكَمَالِ. وَلْيَمْلِكْ فِي قُلُوبِكُمْ سَلاَمُ اللهِ الَّذِي إِلَيْهِ دُعِيتُمْ فِي جَسَدٍ وَاحِدٍ، وَكُونُوا شَاكِرِينَ. لِتَسْكُنْ فِيكُمْ كَلِمَةُ الْمَسِيحِ بِغِنًى» (كولوسي ٣:١٢-١٦).

نبراس

النبراس هو المصباح . وبينما كان بيلشاصر ملك بابل يجلس مع عظمائه الألف يشرب خمرًا ، «فِي تِلْكَ السَّاعَةِ ظَهَرَتْ أَصَابِعُ يَدِ إِنْسَانٍ، وَكَتَبَتْ بِإِزَاءِ النِّبْرَاسِ عَلَى مُكَلَّسِ حَائِطِ قَصْرِ الْمَلِكِ، وَالْمَلِكُ يَنْظُرُ طَرَفَ الْيَدِ الْكَاتِبَةِ.» (دانيال٥:٥)، فكانت الكتابة بإزاء المصباح ليقع نور المصباح عليها ، فتظهر بوضوح .

العظات الثماني عشرة لطالبي العماد

لأبينا القديس كيرللس رئيس أساقفة أورشليم

العظة السادسةَ عشرةَ

«... وبالرّوح القدس، المعزّي، الناطق في الأنبياء»

٥– عرض البِدَع ضد الروح القُدُس:

نودّ على الأقل أن نقول شيئًا بخصوص الروح القُدُس، لا لكي نوضح جوهره إذ هو مستحيل، بل لنبسط مختلف اضاليل الذين تكلّموا عنه، حتى لا نَنساق وراءهم من جرّاء جهلنا؛ ولكي نسدّ طرق الضلال، ونسير في الطريق الملكي الأوحد. واذا كُنا من باب الحرص نعطي بعض تفسيرات للبدع، فلترتدّ اقوالهم الى نحورهم. اننا ابرياء، نحن الذين نتكلّم، وانتم الذين يسمعون.

٦– سيمون الساحر، الغنوسطيون، الفالنتينيون، ماني:

في الواقع ان الهراطقة كَفَرة من كُل الوجوه. لقد سَنُّوا ألسنتهم حتى ضدّ الروح القُدُس، وتجرأوا على قول اشياء غير جائزة، كما نوّه بذلك المفسّر **القديس ايريناوس** في كتبه «**ضد الهراطقة**». ذهب البعض الى القول بأنهم الروح القُدُس، ورئيسهم **سيمون** الذي يُدعَى **السَّاحِر** في اعمال الرُّسل (اعمال ٨:٩).لأنه حيثُ طُرِدَ اخذ ينشر هذه التعاليم. وقال **الغنوسطيون** الكَفَرة اشياء أُخرى ضدّ الروح. وعلَّم **الفالنتينيون الاشرار** أضاليل اخرى كذلك. امّا **الكافر** «**ماني**» فقد تجرَّأ وقال إنّه هو المُعَزّي الذي أرسله المسيح. وادَّعى آخرون ان الروح في الأنبياء غير الروح في العهد الجديد.

عديدة هي أضاليلهم، أو بالحريّ تجديفهم. فأمْقِتْ إذن مثل هؤلاء الناس الذين يجدّفون على الروح القُدُس، ولا غفران لهم. أية شركة بينك وبين هؤلاء اليائسين، أنتَ الذي سَيُعَمَّد قريبًا في الروح القُدُس؟ ان كان الذي يتّحد مع لص ويسير معه يقع تحت طائلة العقاب، فأي رجاء لمن يقاوم الروح القُدُس؟

٧– المرقيّون:

ليكن أتباع «**مرقيون**» الذين يحذفون من العهد الجديد آيات العهد القديم، ممقوتين أيضًا. لأن **مرقيون، زعيم الملحدين**، كان اول من قال إنّ هناك ثلاثة آلهة. لما رأى شهادات الأنبياء الخاصة بالمسيح في العهد الجديد، حذفها من العهد القديم، ليظلّ الملك بلا شهود. ليكن **الغنوسطيون** السَّابق ذكرهم، الّذين يدّعون المعرفة وهم مملوءون جهلًا، ممقوتون أيضًا، إذ تجاسروا وقالوا عن الروح القُدُس أشياء لا أجرؤ على التلفّظ بها.

٨– الكتافريجيون والمونتانيون:

ليُمقَت **الكتافريجيون ومونتان، زعيم هؤلاء الأشرار، ونبيّتاه مكسميليا وبرسكيلا**. لأن **مونتان** هذا، الذي كان مجنونًا ثائرًا، (لأنه لو لم يكن مجنونًا لما قال هذه الأقوال)، تجرأ وقال إنّه هو الروح القُدُس، هو هذا التعيس المملوء نجاسة وقِحَة. ويكفي التلميح بذلك، احترامًا للنساء الحاضرات هنا. واذ اقامَ في «بيبوزا»، وهي ضيعة صغيرة في فريجيا، دعاها كذبًا «اورشليم» حيثُ كان يذبح اطفال النساء البائسين، ويقدّمهم كطعام اجرامي بمناسبة اسرارهم المزعومة. (ولذلك كُنَّا في هذه الأيام الأخيرة، خلال الاضطهاد، نُتَّهَم بهذه الأعمال، لأنّ هؤلاء **المونتانيين** كانوا يسمّون انفسهم كذبًا مسيحيين). لقد تجرَّأ وقال إنه الروح القُدُس، هو الذي كان بلا تقوى ولا إنسانية، ويستحق الإدانة بلا مَرَدّ.

٩– ادّعاء ماني بأنه الروح القُدُس:

وقد أعقبه في الاضطهاد، كما سبق وقُلنا، ذلك **الكافر ماني** الذي جمع كل ما في الهرطقات من خبث. وإذ أصبح هاوية الهلاك الأقصَى. جمع أضاليل كُل البِدَع وخرج منها بضلالٍ جديد عمِلَ على نشره. وقد تجاسر على القول بأنه المُعَزّي الذي وعَدَ المسيح بإرساله. ولكن المسيح عندما وعَدَ به، قالَ للرُّسل: «وَهَا أَنَا أُرْسِلُ إِلَيْكُمْ مَوْعِدَ أَبِي. فَأَقِيمُوا فِي مَدِينَةِ أُورُشَلِيمَ إِلَى أَنْ تُلْبَسُوا قُوَّةً مِنَ الأَعَالِي» (لوقا ٢٤:٤٩). ماذا إذن؟ هلَّا يزال الرُّسل الذين ماتوا منذ مئتي عام، ينتظرون **ماني** لتنزل عليهم القوّة؟ هل يجسر أحد فيقول إنّهم منذ ذلك الحين لم يمتلئوا من الروح القُدُس؟ أَلَمْ يُكتَب: «وَلَمَّا سَمِعَ الرُّسُلُ الَّذِينَ فِي أُورُشَلِيمَ أَنَّ السَّامِرَةَ قَدْ قَبِلَتْ كَلِمَةَ اللهِ، أَرْسَلُوا إِلَيْهِمْ بُطْرُسَ وَيُوحَنَّا، اللَّذَيْنِ لَمَّا نَزَلاَ صَلَّيَا لأَجْلِهِمْ لِكَيْ يَقْبَلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ، لأَنَّهُ لَمْ يَكُنْ قَدْ حَلَّ بَعْدُ عَلَى أَحَدٍ مِنْهُمْ، غَيْرَ أَنَّهُمْ كَانُوا مُعْتَمِدِينَ بِاسْمِ الرَّبِّ يَسُوعَ. حِينَئِذٍ وَضَعَا الأَيَادِيَ عَلَيْهِمْ فَقَبِلُوا الرُّوحَ الْقُدُسَ.» (اعمال ٨:١٤-١٧) . ألم يحدث ذلك قبل **ماني** بسنوات كثيرة، عندما نزَلَ الروح القُدُس في يوم العنصرة؟